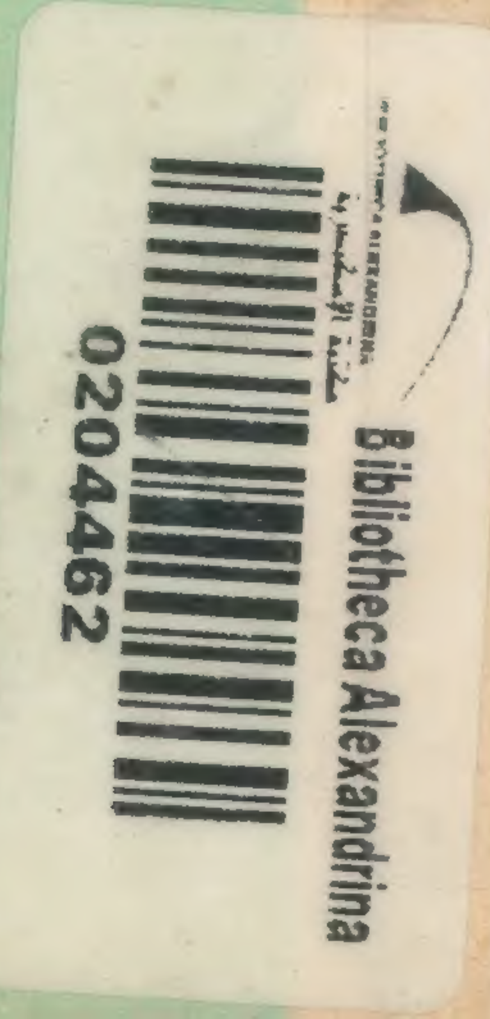
تأليف
ى. سافليف
ج. فاسلييف

موجز تاريخ افريقيا

تعريب
أمين الشريف



موجز
تاريخ افريقيا

تأليف

ى. ساقليف

ج. فاسليف

تعريب

أمين الشريف

دار الطباعة الحديثة

٦ كنيسة الأرمن - أول شارع الجيش

ت ٩٠٨٣١٨ - س.ت ٨٩٦٩١

الفصل الأول

الحضارات القديمة فى أفريقيا

افريقيا قارة كبيرة ذات تاريخ عريق يتوغل في الماضي السحيق ، وهي من الناحيـة الجغرافية تقع في وسط العالم •

وان تاريخ افريقيا ليتصل اتصـالا وثيقا بتاريخ العالم ، فقد أثبت علم الآثار القديمة دون أدنى شك أن الانسان استوطن افريقيا منذ العصور الغابرة ، واستطاع العلمـاء أن يتتبعوا من الحفريات التى اكتشـفوها فى افريقيا كافة مراحل نشأة الانسان وتطوره • والمرجح أن تكون افريقيا هى مهد الجنس البشرى •

وقد ظهر نظام الملكية على الشيوع فى أرض افريقيا منـذ آلاف السنين أيام كانت جبـال الأطلس تقع تحت طبقة من الجليـد ، وكانت الصـحارى اقليما من أقاليم السافانا (الحشائش) ـ واكتشفت فى افريقيـا آلات حجرية قديمة شـبيهة بالآلات التى اكتشفت فى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، ودلت هذه الآلات على أن الانسان استوطن افريقيا على نحو ما فعل فى أوربا وآسيا •

• وعلى مر الزمن أقامت سلسلة من الصحارى حاجزا طبيعيا بين افريقيا الشمالية وافريقيا المدارية ، فعاقت

الاتصال بين هذين الاقليمين الشاسعين احقـابا طوالا ، ونشأت أوضاع مختلفة للحياة البشرية والنشاط الانسانى، وظهرت سمات التطور التاريخى •

وقد سارت الشعوب والقبائل الافريقية فى طريق طويل من التطور ، وكانت نتيجة هـذا التطور كما قال وليم دو بوا فى كتابه « العالم وافريقيا » : « أن افريقيا اعتراها تغير كبير من الناحية الطبيعية والحضارية كما اعترى أوروبا وآسيا » •

ففى خلال آلاف السنين صنعت الشعوب الافريقية ثقافتها الخاصة ، من حيث الملبس والمسكن والموسيقى والرقص والأغانى والأساطير واللغة المكتوبة وفن العمارة الخ • وكان الافريقيون أنفسهم هم الذين صنعوا بعملهم وذكائهم التراث الثقافى فى القرون الماضية •

وتحتل الحضارة الافريقية العظيمة التى نشأت فى العصور الغابرة فى الجزء الشمالى الشرقى من القارة مكانا بارزا فى هـذا التراث • وقد شاهد وادى النيل لأسباب مختلفة ظهور حضارة من أقدم الحضارات الانسانية فى العالم ، فنشأ فى هذا الوادى نظام حكومى، ونظام اقتصادى راق فى فجر التاريخ الانسانى • وهذا يؤكد لنا بقوة دور افريقيا البارز فى تاريخ العالم •

وظهر فى وادى النيل الخصيب وفى الواحات القريبة الواقعة فى شمال شرقى افريقيا نشاط اقتصادى قبل أن

يعرف الانسان استخدام المعادن بزمن طويل ، ففى هذه المناطق بنى النـاس مساكنهم على التـلال المتاخمة لوادى النهر ومارسوا القنص والصيد ، وانتظموا فى جماعات مشاعية (كومونات) بدائية • وبنمو عدد السكان وارتقاء أساليب العمل انتقل الانسان الى زراعة الأرض ورعى الحيوان •

وبفضل جهود كثير من الأجيال أصبح وادى النيـل مغطى بشبكة كثيفة من قنوات الرى مكنت الانسان من تسـخير قوة النهر ، وتعلم الانسـان الأول كيف يفلح الأرض بأطراف الأغصـان الحادة ، ثم اخترع المحراث الخشبى واستخدم الثيران فيه ، مما ساعد كثـيرا على تحسين زراعة الأرض ، فأصبحت الزراعة من الحـرف الأساسية فى وادى النيل •

وظهرت الى جانب الزراعة حرف مختلفة كأشغال الحجر والصلصال والخشب • وسرعان ما ظهرت حرفة النسيج والدباغة وغيرهما • وكان اكتشاف المعادن ايذانا ببداية عهد جديد • وازدادت تجارة المقايضة ازديادا كبيرا بظهور الحرف •

وفى مجال العلاقات الاجتماعية نمت القوة الانتاجيـة للعمل ، فأصاب رؤساء القبائل ومن اليهم حظا كبيرا من الثروة مما أدى الى استغلال الانسان للانسان وهو الاستغلال الذى أخذ يتطور ويؤدى الى تفاوت الطبقـات وتقسـيم

المجتمع الى طبقة مستغلة وطبقة مستغلة . وكان أول شكل للمجتمع الطبقى قائما على تقسيم المجتمع الى سادة وعبيد .

مصر القديمة

توطد نظام السادة والعبيد في مصر قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف سنة ، وكان في وادى النيل وقتئذ حوالى ٤٠ ولاية صغيرة يشيع فيها نظام الرقيق . ونشب صراع طويل بين هذه الولايات أسفر عن تكوين مملكتين كبيرتين احداهما مصر العليا والأخرى مصر السفلى ، ثم تمكنت مصر العليا التى كانت أقوى المملكتين من اخضاع مصر السفلى قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة ، مما أدى الى استيلاء حكام مصر العليا على الأراضى الخصبة الجديدة ، وكذلك على المراعى النضيرة فى دلتا النيل . وهكذا أصبح وادى النيل تحت سلطة واحدة تهيمن على الحياة الاقتصادية مما أدى الى النهوض بالزراعة واتفاقها مع مواسم الفيضان . وتم بذلك توحيد مصر فى دولة مركزية واحدة تستخدم الأرقاء .

وقد أدى التفاوت الكبير بين الطبقات وانحطاط مستوى القوى المنتجة فى البلاد الى قيام حكومة أتوقراطية مطلقة يراسها فرعون ، وقامت حفنة من الأغنياء باستغلال السواد الأعظم من الأرقاء والأحرار بكل قسوه ، واستخدام السلطة المطلقة فى اخضاع الشعب .

وكانت الحرب هى المصدر الرئيسى للأرقاء ، اذ ضرب الرق على أسرى الحرب ، كما ضرب على الأحرار الذين تورطوا فى الديون • وكانت نيران الحروب تشتعل بدون انقطاع ، وهدفها الأكبر الاستيلاء على الغنائم والأرقاء مما زاد من ثروة الأمراء كما زاد من حدة التفاوت بين الطبقات •

وكانوا يرون أن وجود سلطة مركزية قوية أمر لابد منه لاخماد الاضطرابات بين الأرقاء والطبقات الفقيرة من الشعب • هذا الى أن نظام الرى فى طول البلاد وعرضها تطلب كذلك قيام سلطة وادارة واحدة •

وقد جرت عادة المؤرخين على تقسيم تاريخ مصر القديمة الى الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة ، وعصر النهضة الأخيرة ، كما جرت على تقسيم هذا التاريخ الى أسرات تبلغ الثلاثين •

بنيت الأهرامات فى عهد الدولة القديمة لتكون مقابر ضخمة تضم رفات حكام مصر ، ومن أشهرها هرم خوفو وخفرع ، واستغرق بناء كل هرم منها سنوات عديدة ، وتطلب مئات الألوف من العمال الذين لقوا حتفهم بالآلاف من أثر الارهاق تحت سياط ملاحظى العمال • وكان الغرض من بناء الأهرامات هو تخليد الاعتقاد بأن حكم الفراعنة باق الى الأبد ، أما من الناحية الاقتصادية فلم تكن للأهرامات أية فائدة مطلقا •

وفى عهـد الدولة الوسـطى أدى ازدياد الاسـتغلال وتفاقم المتناقضات بين الطبقات الى قيام ثورة على الأمراء وفرعون • وفى حـوالى ١٧٥٠ ق٠م قضى الفلاحون على حكم أمراء الاقطاع ، واستولى الثوار على قصر فرعون ، وصبوا جام غضبهم على الأمراء والأثرياء • ويحدثنا أحد كتبة أوراق البردى المصرية القديمة عن أحـداث ذلك العصر فيقول : « كانت البلاد تمور كعجلة الخزاف » (١) وكانت هذه أول ثورة طبقية كبرى هزت أركان البلاد ، ولكنها لم تؤد الى تغييرات جذرية ، اذ كانت الجماهـير تفتقر الى التنظيم ، فلم تعرف كيف تقضى على الاستغلال ، فعاد النظام القديم سيرته الأولى •

وأعقب ذلك غزو الهكسـوس لمصر الذين قدموا عن طريق شبه جزيرة سيناء ، وظلوا يحكمون مصر أكثر من مائة عام ، وتم بطردهم قيام الدولة الحديثة التى كان النظام الاقتصادى فيها يقوم على امتلاك الأرقاء •

وفى عهـد الدولة الحديثة أصبحت مصر دولة قوية سارت على سياسة الحرب والغنائم ، ودأبت على ارسال الحملات الحربية بقصـد الحصول على الأرقاء • ولكن هذه الحروب المتصلة استنزفت القوة البشرية فى البلاد ،

World History Vol.1, Moscow 1955 Gospoliti-zdat, p. 285

وام تجلب الثراء الا لطائفة قليلة من السكان : هم الأمراء وفرعون وحاشيته والكهنة ، بينما بقيت حالة الشعب سيئة ، وانهارت القوى الداخلية فى البلاد الى حد أنها عجزت عن صد الغزاة عندما تدفقوا عليها من الخارج ، ففى سنة ٥٢٥ ق٠م غزا الفرس مصر التى بلغت أوج القوة والعزة فيما مضى ٠

ثم غزا الاسكندر الأكبر مصر بعد ١٩٣ سنة ، وتدهورت حال البلاد الاقتصادية فى القرن الثانى قبل الميلاد تقريبا وطال أمد هذا التدهور ٠ وفى سنة ٣٠ ق٠م أصبحت مصر ولاية رومانية ٠

وفى سنة ٣٩٥ م انقسمت الامبراطورية الرومانية الى دولتين، وأصبحت مصر تابعة للدولة الرومانية الشرقية ، واتسم هذا العهد بقيام الاقطاع الذى كان وقتئذ نظاما اجتماعيا واقتصاديا جديدا ٠

قامت الحضارة القديمة فى وادى النيل ، بدور تاريخى غاية فى الأهمية لأنها كانت من أطول الحضارات الانسانية عمرا ، وأقواها أثرا ، اذ تمكن الشعب من انشاء نظام عظيم للرى ، كما توصل الى ايجاد لغة للكتابة ، وضرب بسهم وافر فى الأدب ، وأخضع الزراعة لفيضان النيل الموسمى ، مما لفت النظر الى الظواهر الطبيعية ، فأخذ الشعب يهتم بدراسة الفلك ؛ وأدى ذلك الى وضع تقويم سنوى ٠ وعرف المصريون القدامى النظام العشرى فى

الرياضيات وألموا بشيء من علم الجبر ، واهتموا بترقية فن اعمارة ، فدرسوا العمليات الحسابية المتصلة بالمربعات والمثلثات والدوائر وحجوم الأهرامات البسيطة والناقصة. وبرعوا في الطب كما تشهد بذلك دراسة المومياء ، وعالجوا العظام والأنسجة الجلدية المريضة بالآلات الجراحية وعرفوا حشو الأسنان ، وصنعوا الأواني الزجاجية والخزفية والأصباغ والمينا وعرفوا ورق البردى وكثيرا من المواد الأخرى . وقد بقى حتى اليوم كثير من كتاباتهم وتحفهم الفنية .

وقد اقتبست مصر كثيرا من مظاهر الحضارة من جيرانها الأقربين وغيرهم خلال آلاف السنين ، ولكنها أثرت فيهم تأثيرا عظيما .

شمال شرق افريقيا وشمال افريقيا

لمصر القديمة صلة وثيقة بتاريخ الشمال الشرقي لافريقيا بما في ذلك الحبشة وغيرها من البلدان الافريقية المجاورة .

وقد ظهرت في بلاد النوبة جنوبي مصر مملكة مستقلة تدعى نباتا في القرن الثامن قبل الميلاد وفي عهد الدولة الوسطى . ثم نقلت عاصمتها بعد فترة من الزمن جنوبا الى مروى حيث ظلت قائمة بهذا الاسم الى سنة ٣٥٠ ق.م حين غزتها دولة اكسوم التي اتسعت بسرعة على

طول الطريق التجارى القديم الذى كان يسير بحذاء ساحل البحر الأحمر • وتقول المصادر التاريخية ان الميناء الرئيسى لهذه الدولة ، وهو ميناء عدل ، كان يقع على الساحل الافريقى للبحر الأحمر • وقد بلغت دولة اكسوم ذروة الرخاء فى القرون الأولى للميلاد ، واشتهرت عاصمتها اكسوم بثرائها وقصورها ومعابدها الفخمة ، وتوصل أهلها الى معرفة حروف هجائية فريدة فى بابها •

ويرجع اتصال مصر بالحبشة الى الماضى السحيق ، وكانت احدى الأسر المصرية ذات أصل حبشى ، كما نشطت التجارة بين البلدين وان توقفت بين حين وآخر بسبب الحرب •

وقد أقام الفينيقيون مستعمرات لهم على ساحل افريقيا الشمالى فى العصور القديمة منها مستعمرة « أوتيكا » التى تأسست سنة ١١٠١ ق٠م فى حين قامت قرطاجة فى سنة ٨١٤ ق٠م ؛ وفى القرن الخامس ق٠م أصبحت قرطاجة مملكة قوية ذات مراكز ومدن تجارية تنتشر فى سلسلة طويلة على طول ساحل افريقيا الشمالى كله • وكانت قرطاجة فى زمنها أكبر منافس لروما القديمة ، وخاضت الدولتان حربا عوانا من أجل السيطرة على البحر الأبيض المتوسط والعالم القديم بوجه عام • ولا تزال حتى اليوم أنقاض المدن القرطاجية تبهر الأنظار بعظمتها وروعتها •

وشهدت هذه الفترة نفسها قيام دولتين كبيرتين للبربر فى افريقيا الشمالية هما « نوميديا » و « موريتانيا » . وكانت نوميديا تشمل الجزء الشرقى من دولة الجزائر الحالية ، وموريتانيا تشمل الجزء الغربى منها وجزءا من دولة المغرب الحالية . وفى أخريات القرن الثالث ق.م اندمجت الدولتان فى دولة واحدة على يد ماسينيسا Masinissa واحتفظت هذه الدولة باستقلالها على الرغم من مطامع قرطاجة. وفى أثناء حرب جوجورثا(١) من ١١١ الى ١٠٦ ق.م أنزلت الفيالق الرومانية بسلسلة من الضربات الأليمة بممالك البربر ثم غزتها روما فيما بعد ، فحولت ذلك الجزء من افريقيا الى احدى ولاياتها .

وحاولت روما أن تنشر نفوذها فى القارة الافريقية عن طريق « تمجاد » و « فوليو بوليس » وغيرهما من المراكز التجارية الكبيرة في شمال افريقيا . وتدل الأعداد الكبيرة من الأوانى والأوعية الزجاجية والمصابيح والنقود وغيرها من آثار التجارة الرومانية على أن الطرق التجارية فى تلك العصور الغابرة امتدت فى الصحراء وبدأ أحدها فى بلاد ليبيا الحاليــة واتجه الى مكان يقع بالقرب من مدينة جاو فى دولة مالى الحالية .

---

(١) المترجم Jugurtha مات سنة ١٠٤ ق.م ملك نوميديا قتله الرومان بعد مقاومة طويلة .

وتدل الآثار القديمة على وجود اتصال بين شمال افريقيا وداخل القارة كذلك ، فقد اكتشف فى الصحراء عدد كبير من الرسوم على الصخور تصور عربات حربية • والمعتقد أن هذه الرسوم تبين الطرق المعروفة الآن باسم طرق العربات ، التى تسلك طرق القوافل الرئيسية بين البحر الأبيض المتوسط وحدود السودان •

جنوب الصحارى

لا نعرف الا النزر اليسير عن التاريخ القديم للأقاليم الواقعة جنوب الصحارى • ويقول علماء الآثار القديمة ان الأقاليم المتاخمة لبحيرة تشاد كانت مراكز لحضارات عريقة فى القدم • وكذلك كشف علماء الآثار عن حقائق هامة بالقرب من منطقة زاريا فى نيجيريا الشمالية ، اذ كانت آهلة بأقوام يشتغلون بالزراعة ثم عرفوا صناعة الأوانى الفخارية ، وتعلموا صهر الحديد واتخذوا منه آلات وأسلحة ، وصنعوا تماثيل من الطين المحروق اتسمت بأسلوبها الفنى الخاص •

وكذلك كان الاقليم الواقع بين نهرى السنغال والنيجر مقرا لحضارة وحكومة افريقية قديمة ، ففى بداية التاريخ الميلادى قامت فى هذا الاقليم مملكة تدعى أوكر أو غانا ، وكانت تعبرها الطرق التجارية ويقطنها قوم يسمون السوننكه ، Soninkas وعاصمتها القديمة هى مدينة كومبى — شالا الواقعة على بعد ٢٠٥ أميال شمالى

مدينة بماكو الحالية ، والحرف الرئيسية لسكانها كانت الزراعة والرعى ، كما كانت هـذه المملكة تنتج الذهب والملح حتى لقد اشـتهرت فى قديم الزمان بأنهـا بلاد الذهب • وكانت حقـول الذهب مملوكة للملك الذى فرض أيضا مكوسا على تجـارة القوافل • وكان الملك يتمتع بسلطة مطلقة ولكن العرش كان خاضـعا لنظام الأمومة فى الوراثة ، فكان ابن أخت المـلك هو وريث العرش •

وفى افريقيا الاستوائية التى تشمل الأقاليم الواقعة بين البحـيرات الكبـرى والكونغو وكاتنجا وروديسـيا الجنوبية والشمالية امتدت جذور الحضـارة فى أغوار الماضى السحيق • ولا نعرف الا القليل عن التاريخ القديم لهذه الأقاليـم التى تشتمل على آثار عديدة لا تزال فى انتظار الدراسة العميقة من جانب الأثريين • وفى الشمال الشرقى من ملاوى وأواسـط تنجانيقا مدرجات هـائلة صنعها الانسـان على جوانب الجبـال ، وقنوات لرى الأرض •

ان تاريخ افريقيا الشرقية القديم يطوى فى أحشائه كثـيرا من الأسرار • ولا نزاع فى أن حل طلاسم الآثار القديمة العديدة سيميط اللثام عن كثـير من الحقـائق المثيرة عن التاريخ القديم للشعوب التى استوطنت هذه المنطقة • وفى القرن الثانى الميـلادى ذكر بطليمـوس

الاسكندرى وصفا تفصيليا للشاطىء الافريقى جنوبى الصومال • ويسمى هذا الجزء من شرق افريقيا « أزانيا » •

لقد شهد قلب افريقيا نشأة وهجرة قبائل البانتو منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة • وقد نشأت هذه القبائل فى اقليم البحيرات الكبرى فى افريقيا الاستوائية ، ثم هاجرت غربا وشرقا وجنوبا فاندمجت فى قبائل أخرى او طردتها ، وانتشرت فى جميع أنحاء افريقيا جنوب الصحارى فاستوطنت جزءا كبيرا من القارة ولاسيما فى الأقاليم الجنوبية الشرقية •

وكان لشعوب افريقيا الشرقية فى العصور الغابرة صلات تجارية وثقافية مع دولة اكسوم ، وكذلك مع الهند واندونيسيا وبلاد اليونان القديمة •

وهناك أوجه شبه كثيرة من حيث الوجوه واللغة والحضارة بين سكان جزيرة مدغشقر وشعوب جنوب شرقى آسيا ولا سيما الاندونيسيين • والمعتقد أن نواة قبائل ملجاش أبحرت الى الجزيرة عبر المحيط الهندى فى القرن العاشر أو الحادى عشر قبل الميلاد ، ثم ارتبطت بالسكان المحليين برابطة المصاهرة ، وبذلك كانت بداية لتكوين أمة ملجاش الحديثة •

ومما تقدم يتضح أن الشعوب الافريقية وصلت فى

العصور القديمة الى مستوى رفيع نسبيا من الناحيــة الاقتصادية والاجتماعية ، كما ضربت بسهم وافر فى الحضارة الانسانية ، فصنعت حضارات أثرت فىالتقدم الانسانى فى الماضى البعيد ٠

الفصل الثانى

أفريقيا فى العصور الوسطى

شمال افريقيا وشمال شرق افريقيا

المعروف أن بداية التاريخ المتوسط لهذا الجزء من افريقيا ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ أقاليم البحر الأبيض المتوسط المجاورة ، فقد غزت شمال افريقيا قبائل البدو كما هزتها ثورات الأرقاء المتعددة ، فانحلت عرى دول قوية ، وضعفت العلاقات الاجتماعية القائمة على الاسترقاق ، فمهدت السبيل لقيام نظام الاقطاع .

ومنذ ثلاثة آلاف سنة أخذت القبائل العربية تتوغل فى أرجاء افريقيا قادمة من آسيا ، ففتحت مصر فى القرن السابع الميلادي (٦٣٩ - ٦٤١ م) ثم فتحت شمال افريقيا كله فى القرن الثامن .

وقد أدى ذلك الى تغيير جذرى فى التكوين الجنسي والتطور الحضارى للشعوب النازلة فى شمال افريقيا ، فاصطبغ المصريون (الأقباط) والليبيون (البربر) وغيرهم من الشعوب بالصبغة العربية فى الفترة الواقعة بين القرنين السابع والحادى عشر . وفى منتصف القرن الحادى عشر سارت عملية تعريب السكان المحليين بخطى

حثيثة بسبب تدفق قبائل بنى هلال وبنى سليم ، وهدى العرب سكان البلاد الى الاسلام ونشروا لغتهم ، وغرسوا أصول حضارتهم ، فأصبحت العربية لغة الديانة السائدة ولغة المراســلات التجــارية ولغة التعليم ، وبذلك حلت بالتدريج محل اللغات المحلية • وأدى هذا فى النهاية الى اندماج بلاد المغرب ـ مراكش والجزائر وتونس (وكذلك تحسب ليبيا ضمن هذه البلاد أحيانا) فى العالم العربى •

وفى القرنين السابع والثامن اتجه الفتح العربى الى ساحل كينيا وجزء كبير من شرق افريقيا ، فأصبحت منبسة ، ومانندى ، ولاما ، وغيرها من المدن الساحلية محطات عربية قوية ، ومراكز تجارية ، وموانىء لتصدير الرقيــق • وقامت سـلطنات عربية فى شرق افريقيا ، أكبرها سلطنة زنزبار •

وفتح العرب السودان الشرقى فى القرن الثالث عشر، ثم وصلوا فى القرن الخامس عشر الىاقليم بحيره تشاد • وفى شرق السودان وغربه امتزج عدد من الأهالى بالعرب، وتعلموا لغتهم •

وخضعت البلاد الافريقية التى فتحها العرب للخلافة العباسيــة فى بداية الأمر ، ولكن الحــروب الاقطاعية والانقسام الذى اعترى دولة الخلافة لم يلبث أن أدى الى تغيير هذا الوضع •

فاستقلت مراكش وتونس عن الخلافة العباسية فى

القرن التاسع ، وأسس الفاطميون دولة لهم فى تونس ابان القرن العاشر ، وفتحوا مصر فى سنة ٩٦٩ م ، وأسسوا مدينة القاهرة • وظهرت ثلاث دول اقطاعية فى شمال افريقيا فى القرن الثالث عشر وكانت حدودها قريبة من الحدود الحالية لدول الجزائر (دولة بنى زيان) ومراكش (دولة بنى مرين) وتونس (دولة بنى حفص) •

وأخيرا قامت فى مصر ـ بعد أن تغلبت عليها دول عدة ـ دولة من المماليك • وكانت الدولة الأيوبيــة أول من استخدم المماليك وهم جماعة من الأجناد الأرقاء الذين ينتمون الى الترك والشراكسة والأبخاز والكرج • وفى سنة ١٢٥٠ اختار زعماء المماليك واحدا منهم سلطانا على مصر • وكانت مصر فى عهد المماليك دولة مستقلة قامت فيها الزراعة على نظام الاقطاع ، واتسم الجهاز الحكومى بالبيروقراطية المنظمة ومجموعة كبيرة من القوانين •

وفى بداية القرن السادس فتح الأتراك العثمانيون مصر ثم استولوا بعد ذلك على ليبيا وتونس والجزائر •

وظلت مصر وشمال افريقيا (باستثناء مراكش) خاضعة للحكم التركى حتى القرن الثامن عشر ، وفى بداية القرن التاسع عشر تحررت مصر والمغرب من الحكم التركى بالفعل بعد تدهور الدولة العثمانية • ولكن هذه البلاد لسوء الحظ لم تنعم بنعمة الاستقلال لأنها أصبحت نهبا للدول الاستعمارية التى حالت دون تمتعها بالحرية •

وفي بداية العصور الوسطى شاهد اقليم دولة مروى القديمة الواقعة جنوبي مصر قيام الممالك المسيحية : النوباريين ، ومقره ، وعلوه ، وان أنقاض الكنائس والأديرة التى شيدت فى ذلك العهد لشاهد صامت على ازدهار المسيحية فى تلك المنطقة فيما مضى ٠

كل هذه الدول المذكورة زالت من الوجود عقب الفتح العربى ، فسقطت مقرة فى انقرن الثالث عشر فى حين استمرت علوة حتى بداية القرن السادس عشر ٠

لقد أدت هجرة العرب وغيرهم من القبائل الاسلامية الى بلاد النوبة ــ كما ذكرنا آنفا ــ الى تعريب الشعوب القاطنة فى السودان ، فظهرت سلسلة من الدول الاقطاعية (سلطنات) كان أشدها قوة سنار ، ووادای ، ودارفور ٠

وورثت الحبشة حضارة اكسوم القديمة ٠ ويعطينا التاريخ المتوسط للحبشة صورة من الكفاح المتواصل لتعزيز السلطة المركزية وصد من غزاها من المسلمين ولاسيما المصريين والأتراك ٠ ففي القرن السادس عشر استنجد حكام الحبشة بالبرتغاليين فساعدوهم على طرد الأتراك ، ولكن الأحباش ثاروا فيما بعد لتحرير أنفسهم من وصاية البرتغاليين ٠ وعاشت الحبشة بمعزل عن بقية العالم ٠ واشتد ساعد السلطة المركزية فى البلاد حينا من الزمن ثم تجزأت الى امارات اقطاعية متفرقة ٠ ولم تتحد البلاد مرة أخرى الا فى أواسط القرن التاسع عشر

وكانت هـــذه الوحدة عاملا أساسيا فى صـد العدوان الاستعمارى ابان تقسيم الدول الاستعمارية لافريقيا ٠

غرب افريقيا ـ دولة مالى ودولة سنغاى

ان نمو البـلاد الواقعة فى جنوب الصحارى أدى فى العصور الوسطى الى قيام ممالك كبيرة على درجة عالية من الحضارة ، وأصبحت هذه المنطقة مسرحا لأحـداث مضطربة فى العصور الوسطى ٠

وفى غرب افريقيا كونت الشـــعوب التى بلغت أعلى درجة من التطور دولهـا القومية قبل ظهـور الأوربيين بزمن طويل ٠ وكان الملك يعد صاحب البلاد كلها ، ولكنه احتفظ بجزء منها لنفسه ومنح معظمها لأتباعه ٠

وتطورت العلاقات الاقطاعية على نحو فريد فى بابه ـ فكانت الجماعة تضطلع بالدور الهام على حين استمرت رواسب النظام القبلى واضحة جلية فى الحياه الاجتماعية وفى نظام الدولة ٠٠ وأخذ المجتمع ينقسم الى طبقات شيئا فشيئا ولكن الميراث بالنسبة للممتلكات وللسلطة بقى خاضعا لنظام الأمومة ٠ كما أن معالم الفروق بين طوائف المجتمع المختلفة لم تكن واضحة بعد ٠

وكان غرب السودان ووسطه أكثر أقاليم هذه المنطقة تقدما ، ونشأ عدد كبير من الممالك فى هذه المنطقة وهى

تكرور وغانا ووالو وباول وسيني وسـالوم وجولـوف وجاو ، وكان أهمها تكرور وغانا ٠

ازدهرت غانا اقتصاديا في القرنين السابع والثامن، فكان لها تجارة رائجة مع شمال افريقيا وكانت عاصمتها كومبى ـ سالا مدينة كبيرة ، ولكن جرت أحداث مروعة قضت على ازدهار البلاد ٠

ففى القرن الحادى عشر قامت دولة للبربر فى اقليم موريتانيا على يد طائفة الموحدين ٠ وفى سنة ١٠٧٦ م تعرضت غانا للغزو والسلب والنهب ، فسـاء حالهـا وتفككت كثير من الامارات التابعة لها ٠

قامت امارة مالى فى غرب السودان بين النيجر وباكوى قبل القرن الحادى عشر بزمن طويل ، وكانت فى بداية أمرها صغيرة ومستقلة عن ملوك غانا ٠ وفى القرن الثالث عشر قام موسى كيتا ـ أحد حكام هذه الامارة ـ بتأسيس مدينة كنجابا فى نهر النيجر أعلى مدينة بماكو الحالية ٠

وفى سنة ١٢٣٠ م بسط سومانجورو ـ أحد ملوك السونينكه ـ سلطانه على سائر مملكة غانا السابقة ، الا أن قواته لاقت مقاومة عنيفة فى احدى الامارات الجنوبية التى تحكمها أسرة كيتا ، ثم انهزمت سنة ١٢٣٥ بالقرب من كيرين ٠

وكان النصر الذى أحرزته قبائل الماندى (ماندنجو)

بقيادة بطلها الأسطورى سونديايتا مقدمة لقوة مملكة مالى وازدهارها ، اذ انتشرت زراعة القطن فى عهد سونديايتا، وحلت دولة مالى محل مملكة غانا التى تمزقت ، ومدت سلطانها بالتدريج من منطقة الغابات المدارية الى الصحارى ومن شواطىء الأطلنطى الى أواسط النيجر ٠

وكانت مالى تدين برخائها للتجارة ولا سيما فى الملح وهو السلعة الأساسية التى حملتها القوافل عبر الصحراء ، وبلغت مالى ذروة الرخاء فى الفترة التى ازدهرت فيها مدينتا تمبكتو وجنى ٠ وكانت تمبكتو هى ملتقى طرق القوافل عبر الصحراء ، وجنى الواقعة فى الداخل هى السوق الرئيسى للسلع السودانية والأجنبية ٠ وبلغت مالى ذروة سلطانها فى عهد منسا موسى فى النصف الأول من القرن الرابع عشر ثم تدهورت بعد ذلك بالتدريج ٠

وفى بداية القرن السادس عشر اكتسحتها قبائل التكرور المحاربة التى أحالت جميع البلاد الواقعة جنوبى نهر السنغال خرايا بلقعا فى الفترة ما بين ١٥٣٠ـ١٥٥٣ ، واضطرت البلاد أن تخوض كفاحا مريرا ضد قبائل السنغاى ٠ وفى سنة ١٥٩١ غزاها المغاربة ٠ وفى ١٦٣٠ ارغمت قبائل فولبى وبمبارا الثائرة الملك «ماما ماجان» آخر ملوك مالى على مغادرة عاصمته ، وبعد اربعين عاما غزاها جيرانها المحاربون ٠

وكانت دولة سنغاى دولة سودانية أخرى تبوأت مكان الصدارة فى العصور الوسطى ، وبسطت نفوذها على الأراضى الواقعة شرقى غانا ومالى القديمة ، وكانت هذه الدولة وعاصمتها جاو من الدول التابعة لمالى ولكنها حلت بالتدريج محل الأخيرة لكونها أقوى دولة سياسية فى غرب السودان •

وفى عهد العاهل محمد (١٤٩٣-١٥٢٨) بلغت دولة سنغاى ذروة سلطانها فامتدت أملاكها من السنغال الى الأجزاء العليا من نهر بلاك والفولتا الأبيض والأحمر ، وأصبحت من أعظم الدول الاقطاعية فى السودان • وكانت مكتبة معهد سنكورة الاسلامى تحتوى على مجموعة من المخطوطات العربية تعد من أكبر المجموعات فى العالم •

وفى نهاية القرن السادس عشر تفككت هذه الدولة الى امارات منفصلة بعد أن غزاها سلطان مراكش •

ودمر الغزاة تمبكتو وچنى وجاو ونهبوها ، ولكن الثورات المستمرة حالت دون استقرارهم فى البلاد ، فتفرق شملهم أخيرا بعد أن انقطع عليهم خط الرجعة الى بلادهم • ولكن دولة سنغاى لم تعد قط الى ما كانت عليه قبل هذا الغزو •

وفى نيجيريا الشمالية جنوبى نهر النيجر أسس شعب الهوسا مدينة كانو وكتسينا ، وزمفارا ، ودورا ، وفانو،

وغـيرها من الدول المسـتقلة ؛ وكانت هـذه المـدن بتجارتها وحرفها المزدهرة تخضع بين حين وآخر لسلطان الممالك القوية المجاورة • ولا يزال كثير من تاريخ مدن الهوسا غير معروف ، وظلت هـذه المدن محتفظة بقوتها حتى غزتها قبائل الفوله فى القرن التاسع عشر •

ونشأت دول زراعية اقطاعية فى اقليم بحيرة تشاد • منها مملكة كانم التى خلفتها دولة برنو فى نهاية القرن الرابـع عشر • وسطعت شمس الحضـارة أيضا ابان العصور الوسطى فى مملكة ساو البائدة • وظهرت مملكة أخرى من ممالك بحيرة تشاد هى مملكة باجرمى فى القرن السـادس عشر وأنشأت قبـائل موسى مملكة وجدوجو جنوبى برنو فى حوض الفولتـا الأعلى فى بداية الألف الثانى من الميلاد ، وانقسمت هذه المملكة الى تسع ولايات يحـكم كلا منها وال يعينه الملك • وكان الولاة يأتون سنويا الى العاصمة يحملون معهم هدايا الى الملك •

وقامت ممالك بانو ، وباندا ، وسوماى ، وهونجا فى اقليم الفولتا الأسود فى القرنين الرابع عشر، والخامس عشر على أساس التجارة فى الذهب وبذور الكولا •

وفى القرن العـاشر برزت قبـائل الفوله فى غرب افريقيا ، فتوسـعوا فى أملاكهم فى القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر وأقاموا عدة ممالك •

ساحل غينيا وافريقيا الوسطى

كان الاقليم الذى تقطنه قبائل اليوروبا أرقى الأقاليم الواقعة على ساحل غينيا من الناحية الاقتصادية • ويرجع تاريخ الدول الأولى التى قامت فى هذه المنطقة الى القرن الحادى عشر • وقد بلغت حضارة اليوروبا أوج قوتها فى القرن الثالث عشر • وكان عـدد سكان ايفا وأويو وغيرها من مدن اليوروبا يربو على ٥٠٫٠٠٠ نسمة وقويت شوكة مملـكة بنين فى المدة من القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر • وبلغت صناعة البرنز درجة عالية من التطور • وكانت ثروة المملكة قائمة فى البداية على رواج تجارتها مع المدن والقبائل الشمالية ثم على تجارة الرقيق مع الأوربيين •

ونشأت على ساحل غينيا دول أخرى لا تضارع مملكة اليوروبا فى اتساع أرجائهـا وأهمها أردرا ، وويدا ، وأجاتشـا ، وأبومى (التى أصبحت فيما بعد عاصـمة داهومى) •

وكانت هذه الممالك هى الأسواق الأساسية لتجارة الرقيق فى الفترة التى أسر فيها الأرقاء من هذه المنطقة •

وسرعان ما قويت شوكة مملـكة أشانتى على ساحل غينيا فى أواخر القرن السابع عشر ، ثم أصبحت من أقوى الدول فى هذه المنطقة فى مستهل القرن التاسع عشر •

وفى أوائل القرن الثامن عشر تحولت أبومى الى مملكة داهومى •

وشهدت هضبة كاتانجا كذلك قيام بعض الدول التى بلغت مستوى عاليا من التنظيم ؛ فظهرت مملكة لوبا فى القرن الخامس عشر ، وكانت قبائل البالوبا تؤلف معظم سكانها ، ولكن قبائل الباسونجا التى تقطن اليوم الجزء الشرقى من ولاية كاساى فى الكونغو كانت تتولى الحكم • ثم تغلبت البالوبا بعد ذلك على الباسونجا ، وأقاموا دولة لهم • وهذا التطور يرتبط بمملكة لوندا التى قامت عند منابع نهر كوانز ، وكوانجو ، وكاساى ، والزمبيزى • وكانت هذه الدول الكبيرة تحدها عدة ممالك وامارات صغيرة •

وكان أكبرها مملكة الكونغو التى قويت شوكتها فى القرن الخامس عشر وفى سنة ١٤٩١ اعتنق الملك نزنجا نتينو المسيحية ، وتسمى دون جوان وحذا حذوه حكام الأقاليم طمعا فى أن يساعدهم البرتغاليون على الاستقلال عن الملك •

ويقول أرماتو فى كتابه « العصر الذهبى لحضارة افريقيا الغربية » ما نصه :

« فى أوائل القرن السادس عشر أصبحت (مملكة الكونغو الافريقية فى العصور الوسطى) بلادا مسيحية يهرت ثروتها وعظمتها أبصار المسيحيين جميعا • فكان

ملوكها ورجال بلاطهم يضارعون فى عظمتهم وفخامتهم ملوك اسبانيا والبرتغال ، وكانت روما تقوم بتنصيب أساقفتها وأحبارها • ولن تظهر مملكة افريقية مرة أخرى ما أظهرته هــذه المملكة من الاناقة والجمال • ويقول الاخباريون ان أهل هذه المملكة لم يكونوا بحاجة لأن يقتبسوا شيئا من الطبقة المستنيرة فى أوربا ، وذلك فى سلوكهم وملابسهم وعاداتهم وأحاديثهم » •

وفى القرن السادس عشر تعرضت الكونغو لغارات مدمرة من قبــائل الياجــا التى كانت تقطن الغــابات الاستوائية ، فاستنجد حكام الكونغو بالبرتغاليين فدحرت قبائل الياجا فى سنة ١٥٧٠ م ، ولكن البرتغاليين أقاموا فى البلاد باعتبارهم فاتحين ، وأخيرا تم طردهم على أثر قيام حركة شعبية بزعامة « مبولا متادى » •

وظهرت مملكة أنجولا فى حوض نهر كوانجو وروافده فى القرن الرابع عشر • وكانت فى بداية أمرها تابعة للكونغو ، ولكنها أصبحت فى القرن السادس عشر دولة اقطاعية مستقلة • وكانت العلاقات التى ظهرت فى أنجولا تمت بصلة وثيقة الى النظــم القبائلية فكانت السلطة والألقــاب والأموال يتم توارثها طبقا لنظام الأمومة فى الميراث • وفى سنة ١٥٧٨ بنى البرتغاليون مدينة سان باولــو دى لواندا التى أصــبحت بمثابة نقطــة وثــوب لفتوحاتهم ، ومركزا كبــيرا لتجارة الرقيق • واستتب

الأمر للبرتغاليين فى معظم أنحاء أنجولا بعد أن أخمدوا سلسلة من الثورات • ثم نشبت ثورة كبرى فى أوائل القرن السابع عشر بزعامة الملكة آنا چنجا بمباترى نجولا، وهى آخر حكام أنجولا المستقلة ، فحكمت البلاد من سنة ١٦٢٥ الى ١٦٥٥ م بعد أن أعلنت الحرب على البرتغاليين، وقاتل جنودها البرتغاليين بشسجاعة كما قاتلوا قبائل الياجا المحاربة • ولم يستطع البرتغاليون اخضاع أنجولا الا فى القرن الثامن عشر • وقد ظلت أنجولا هى المركز الرئيسى لتجارة الرقيق البرتغالية قرونا عديدة ، وكان أكثر بيع الرقيق فى البرازيل •

وقد استوطن الانسان منطقة البحيرات الكبرى منذ أقدم العصور ومن أشهر دول هذه المنطقة مملكة كيتارا ، وتدل آثار مبانيها وقنوات الرى فيها على كثرة أهاليها • ونشأت فى أخريات القرن السادس عشر ممالك أخرى عديدة حول كيتارا هى كزيبا ، وكرجوى ، وبوسنجو ، ورواندا ، وأورندى •

شرق افريقيا وجنوبها

يدل ما كتبه المؤرخون والرحالة العرب أكبر دلالة على أنه قامت فى شرق افريقيا دول منظمة بما فى ذلك كينيا الحالية فى القرنين التاسع والعاشر • ويقول أبو الحسن على المسعودى الرحالة العربى الذى زار ساحل كينيا فى

منتصف القرن العاشر أن أهل البلاد لهم ملك وعاصمة ، وأن أسلحتهم مصنوعة من الحديد وأنهم يصيدون الفيلة ليبيعوا أنيابها الثمينة فى البلاد الأخرى •

وقد تاجر أهل كينيا من قديم الأزل مع المصريين والاغريق ، والهنود والصينيين والفرس والعرب الذين أبحرت سفنهم التجارية الى شرق افريقيا •

وقد عرف كثير من قبائل كينيا قبل الاستعمارالأوربى بزمن طويل صهر الحديد وصناعة الآلات والأسلحة الحديدية ، وصناعة الحلى من المعادن والعاج والصدف ، وصناعة الخزف ، وصناعة السلال من أغصان الأشجار ، والدباغة ، وغير ذلك من الحرف • وكانت بعض القبائل ذات خبرة بالزراعة (كيكويو) وبعضها يشتغل بتربية المواشى (ماساى) وازدهرت التجارة بين القبائل •

وبدأ العرب يتوغلون فى ساحل كينيا وفى جزء كبير من شرق افريقيا فى القرنين السابع والثامن ، فشيدوا منبسه ، ومالندى ، ولامو ، وبيت وغيرها من المدن ، واتخذوها معاقل للاحتفاظ بسلطانهم ، كما اتخذوها موانىء للتجارة وتصدير الرقيق • ونشأ عدد من الدول العربية أو سلطنات فى شرق افريقيا ، أكبرها زنزبار التى اشتملت على ساحل كينيا •

وفى سنة ١٤٩٨ ظهرت سفن فاسكو دى جاما فى ميناء منبسة ، وكان ذلك بداية توسع البرتغال فى شرق

افريقيا • وخير القائد البرتغالى المدن الساحلية بين أمرين اما الولاء للتاج البرتغالى واما الاحراق بالنار • وجاء فرنسيسكو دى ألميدا بعد فاسكو دى جاما ، فأحال مدينتى منبسة وكلوة المزدهرتين خرابا يبابا • وقد أرسل حاكم منبسة خطابا الى حاكم مالندى يصف فيه الدمار الذى أحدثه الغزاة البرتغاليون قال فيه : « لم يبق فى المدينة ديار ولا نافخ نار ، فقد قتلوا كل الأهالى نساء ورجالا ، شيبا وشبانا وأطفالا الا من نجا بنفسه » • وفى أواخر القرن السادس عشر غزا البرتغاليون معظم سلطنات افريقيا الشرقية واستقروا على ساحل كينيا • ولاتزال قلعة يسوع التى أقاموها فى ١٥٩٣ ثم استخدمها الاستعماريون الانجليز بعد ذلك سجنا قائمة حتى اليوم فى منبسة لتحكى لنا أسوأ الذكريات عن الغزاة البرتغاليين •

وفى أوائل القرن الثامن عشر تم طرد البرتغاليين من شرق افريقيا ولم يبق لهم الا موزمبيق ، ولكن ظهر فى كينيا فى أواسط القرن التاسع عشر مستعمرون آخرون من ألمانيا وانجلترا ، وانتهى الصراع بين الدولتين فى نهاية هذا القرن لصالح الأخيرة • وتدل الآثار الهامة فى زمبابوى الواقعة فى جنوب روديسيا على قيام مملكة متحضرة قديمة فى افريقيا الجنوبية الشرقية • وتؤكد الحقائق التى كشفت عنها الآثار القديمة قيام علاقات

تجارية كبيرة بين مملكة مانوموتابا المحلية وشبه الجزيرة العربية بل مع جنوب شرقي آسيا ٠ وفي القرن السادس عشر مزقت المنازعات الداخليـة مملكة مانوموتابا كل ممزق فذوى عودها واستنخذت قواها ٠ وفي نهاية القرن السابع أغارت عليها قبائل روزوى المحاربة ، فدمرتها تدميرا ٠

وفي القرن السادس عشر قامت مملكة امرينا القوية في جزيرة مدغشقر وازدهرت فيها الزراعة ، وراجت الحرف اليدوية والتجـــارة ، ولكن الاقطاع والحـرب الضروس مزقت أوصال هـذه المملكة في نهاية القرن السابع عشر ٠ وتعرف هذه الفترة في تاريخ مدغشقر بأنها « فترة احتدمت فيها الحرب بين كل بيت وآخر » ولم تقم في مدغشقر دولة ملجاش المتحدة الا في أواسط القرن التاسع عشر ٠

* *

وفي العصور الوسطى تقدم المجتمع الانساني بخطى متعثرة كما حدث في كل مكان آخر في العالم ، ولكنه على وجه العموم لم يتخلف عن التطور الذى طرأ على بقية الجنس البشرى ، فنشأت ممالك ، وتغير نظام الاقتصاد ٠

بيد أن هذا التطور الطبيعي للشعوب الافريقية توقف

بسبب الغزو الأوربى ، وتأسيس المستعمرات، والاستغلال الاستعمارى •

وقد أدت سياسة النهب والغزو والاستغلال التى سار عليها الاستعمار الى سرعة تطور الرأسمالية فى أوربا •

وكانت البرتغال واسبانيا أسبق الدول الأوربية الى الاستعمار ، اذ فتحت رحلات خرستوف كولمب فى المحيط الأطلنطى (١٤٩٢) وفاسكودى جاما حول افريقيا الى الهند (١٤٩٧-٩٩) آفاقا لم يسبق لها مثيل لاثراء البورجوازية وتشجيع التجارة والملاحة والصناعة • ودخلت هولندا وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول فى حلبة الصراع من أجل السيادة على البحار والاستيلاء على المستعمرات• وظلت هذه الدول ردحا من الزمن فى صراع مستمر من أجل السيطرة الاستعمارية ، فنشأت امبراطوريات استعمارية ونظم استعمارية ، فى أشكال وصور متكررة•

تجارة الرقيق

لقد راجت التجارة العالمية بفضل الكشوف الجغرافيه ، وتفتحت الأسواق بصورة مستمرة أمام السلع الأوربية ، فأمكن مبادلة المصنوعات الأوربية بالسكر والقطن والتوابل والدخان والمعادن الثمينة وغيرها من السلع • وساعدت الفتوحات الاستعمارية كما ساعد النظام الاستعمارى

نفسه على زيادة حجم التجارة والملاحة ، اذ كفل سوقا لتصريف المصنوعات الأوربية الجديدة ، ونمت القوة الصناعية للبلاد الرأسمالية بفضل الاستغلال الاستعمارى . فمثلا استطاعت بريطانيا بفضل الاستغلال الاستعمارى عدة قرون أن تصبح « مصنع العالم » .

وتطلب توسيع نطاق الرأسمالية الصناعية ، تكديس مبالغ كبيرة من المال فى أيدى طائفة قليلة ، كما تطلب أيضا وجود عدد كبير من العمال الذى لا يملكون وسيلة للعيش . وقد قام النهب الاستعمارى واسترقاق الشعوب الافريقية وغيرها بالدور الرئيسى فى هذا التكديس المبدئى الذى لم يكن منه بد لايجاد الرأسمالية الحديثة .

« لقد كان اكتشاف الذهب والفضة فى أمريكا والقضاء على سكان البلاد الأصليين واسترقاقهم ودفنهم فى المناجم ، وبداية غزو جزر الهند الشرقية ونهبها ، وتحويل افريقيا الى أرض الصيد ذوى الجلود السوداء والاتجار فيهم — كل أولئك كان هو الفجر الوردى لعصر الانتاج الرأسمالى »(١) .

وقد تطلبت ابادة السكان الأصليين فى كثير من أقاليم أمريكا ، ونمو المزارع الكبيرة فى المستعمرات الاسبانية

---

(١) كارل ماركس ، رأس المال مجلد ١ ، موسكو ص ٧٥١

الأمريكية وفى البرازيل استيراد الأيدى العاملة من العبيد ، فنقلت جموع هائلة من الرقيق من افريقيا الى أمريكا • وكانت تجارة الرقيق مصدرا للثراء الفاحش ، وأصبحت عاملا هاما فى تكديس رأس المال ، وجلبت أفدح النكبات على الشعوب الافريقية • وبذلك أصبحت القارة الافريقية فريسة للرأسمالية الناشئة •

وفى نهاية العصور الوسطى استشرت تجارة الرقيق فى افريقيا ، وأخذت العلاقات الرأسمالية تنمو فى أوربا وتؤدى الى انطلاق القوى الانتاجية ونشأة الأمم وظهور الدول القومية البورجوازية • أما فى افريقيا فقد انعكست آية التطور نتيجة لتجارة الرقيق التى استمرت أكثر من أربعة قرون ، اذ كانت هذه التجارة تعنى أكثر من تصدير الرقيق ، فقد أدى التكالب على طلب الرقيق الى نشوب حروب لا تحصى ، فسعى رؤساء القبائل الى الاستيلاء على أفراد القبائل الأخرى ، واعتدت القرية على القرية كما اعتدى الجار على الجار • فقضى ذلك على كل أمل فى تحول القبائل الى أمم ، وتكوين دول كبيرة ذات سلطة مركزية •

وكانت البرتغال أول دولة أوربية مارست تجارة الرقيق فى افريقيا ، فوصلت أول شحنة من الرقيق

والذهب الى لشبونة سنة ١٤٤١ (١) وظلت البرتغال تحتكر هذه التجارة القذرة الى سنة ١٥٨٠ م ، ثم اقتفت أثرها الدول الأوربية الأخرى التى كافحت فى سبيل السيطرة على البحار ، فوجهت أنظارها الى افريقيا ، فتكالبت بريطانيا وهولندا وفرنسا واسبانيا ودنمارك ثم الولايات المتحدة فيما بعد على ممارسة تجارة الرقيق الشائنة . فامتدت سلسلة من المراكز والقلاع التجارية لجمع الأسرى وتصديرهم على طول الساحل الغربى كله من السنغال الى أنجولا ، وأخذت هذه التجارة تزداد شيئا فشيئا حتى بلغت ذروتها فى نهاية القرن الثامن عشر حين نقل ما يقرب من ١٠٠٫٠٠٠ رقيق افريقى الى أمريكا سنويا (٢) .

وكانت أسواق الرقيق الرئيسية هى خليج غينية وافريقيا الغربية والشرقية والمدارية وذلك بالاضافة الى خليج بنين والأجزاء الساحلية من ساحل الذهب والكونغو وأنجولا وبعض الأقاليم الأخرى التى صدرت الرقيق .

---

(١) و.ا.ب. دى بوا : « العالم وافريقيا » نيويورك ١٩٤٧ ص ٩٧

(٢) جان سورنت ـ كانال : « افريقيا السوداء الغربية والوسطى » باريس ١٩٦١

وكان تجـــار الرقيق يعاملون العبيد بقسوة بالغة فكانوا يضعون الأغلال فى أعناقهم ، ويشحنون جـوف السـفينة بهم كأنهم علب السردين ، فلقى الآلاف منهم حتفهم بسبب الازدحام والاسقام ووعثاء السفر والأمراض وغير ذلك من الويلات التى حلت بهم ، أما المرضى والذين حضرهم الموت فكانوا يلقون فى الماء طعمة لسمك القرش • وقد جنى تجار الرقيق أرباحا طائلة على الرغم من هلاك الكثير من الأرقاء ، فكانوا يدفعون ٧٠ـ٢٠٠ فرنك ثمنا للعبد فى افريقيا ثم يبيعونه بعشرة أضعاف هذا الثمن أو أكثر فى أمريكا • وبذلك تكدست ثروة خيالية عن طريق السلب والاسـتغلال الوحشى لملايين الافريقيين • وكان الأرقاء يعملون فى حقول القطن والسكر ، ويشتغلون فى المناجم والمحاجر وفى المصانع والمطاحن • وكان ملايين منهم يكلفون أشق الأعمال فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية •

وتحدثنا محفوظات « ليفربول » أن تجاره الرقيق فى افريقيا بلغت درجة هائلة فكانت موانىء أوربا وآسـيا وافريقيـا تموج بأعداد متزايدة من الأرقاء وأبحـر الى افريقيا فى الفترة من ١٧٨٣ الى ١٧٩٣ ما لا يقل عن ٩٠٠ أسطول لجلب العبيد • وفى أثناء هذه السنوات العشر نقل أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ رقيق على ظهر سـفن

تحمــل أعلاما أوربية ، وبلغ ثمن بيــع هــؤلاء الأرقاء ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥ دولار فى حين وصل الربح الصافى الى ٠٠٠ر٠٠٠ر١٢ دولار وذكر ماركس أن «ليفربول» تدين بثرائها لتجارة الرقيق ٠

وليس فى وسع المرء أن يقدم صورة واضحة للدمار الذى سببته هــــذه التجارة ٠ ولا يصح الحكم على عدد الأرقاء الذى صـــدرتهم افريقيا بحجـم السكان الملونين الحاليين فى الولايات المتحدة ، ذلك أن الافريقيين الذين نقلوا بالقوه الى أمريكا لم تتهيأ لهم الأسباب حتى تكون نسبة المواليــد بينهم نسبة عادية ثم ان العمل المرهق والطعام الزهيد والأحوال غير الصحية ، ووحشية تجار الرقيق ــ كل ذلك رفع نسبة الوفيات بينهم ، ولم يحل بينهم وبين الفناء الا أن الموتى منهم كان يستعاض عنهم باستجلاب عدد جديد ٠

ويجب أن يضاف ضحايا آخرون من ضحايا تجارة الرقيق الى عدد الأرقاء الذين تم نقلهم الى أمريكا ، فعلينا أن ندخل فى حسابنا عدد الأفريقيين الذين قتلوا أثناء الغارات والحروب العديدة الناجمة عن اصطياد الأرقاء ، ثم عدد الأسرى الذين لقوا حتفهم فى الطريق من أعماق القارة الى الساحل ، وكذلك عدد الذين قضوا نحبهم أثناء الرحلة المروعة عبر البحار ٠ لقد قدر أنه فى مقابل كل

رقيق وصل الى أمريكا مات خمسة من الافريقيين فيافريقيا نفسها أو فى وسط البحر • ونتيجة ذلك كله أن افريقيا فقدت عددا كبيرا من سكانها القادرين علىالعمل• وكذلك هلكت طوائف كثيرة فى الغابات والمستنقعات لجأوا اليها فرارا من تجار الرقيق •

وقد قدر عدد الافريقيين الذين عانوا الأمرين من تجارة الرقيق (بما فى ذلك الأرقاء الذين بيعوا فى الشرق) بنحو ١٠٠ـ١٥٠ مليون مما حال دون ازدياد سكان افريقيا خلال حقبة طويلة من الزمن فى حين زاد عدد السكان فى القارات الأخرى ازديادا كبيرا •

أضرت تجارة الرقيق بتطور القارة الافريقية ضررا بالغا ، فقد ألبت الأمة الافريقية بعضها على بعض ، وبثت روح العداوة فيها وأشعلت نار الحرب الضروس بينها •

وجلب التجار الى افريقيا البنادق والبارود والكحول والمنسوجات والحلى الرخيصة بدلا من الرقيق • ولم يجشم التجار الأوربيون والأمريكيون أنفسهم مشقة اصطياد الرقيق بل تركوا هذه المهمة للافريقيين أنفسهم وكان فى ذلك ربح أكثر وخطر أقل • ثم انهم أفسدوا الطبقة الحاكمة فى المجتمع الافريقى باستهوائهم رؤساء القبائل وحكام بعض البلاد الافريقية الى تجارة الرقيق •

وكان أعظم مصدر لجنى الأرباح فى افريقيا هو حروب

السلب والنهب لا العمل المنتج ، وازهاق الأرواح البشرية وتحصيل القيم المادية لا الجهد المبدع الخلاق • وكانت الغارات التى تشن لاصطياد الأرقاء عملا محفوفا بالأخطار وكثيرا ما كان الصياد نفسه يصطاد ، فاذا هو يقاد الى سوق النخاسة مكبلا بالأغلال والأصفاد وكان الذعر والفزع الدائم ، والغارات التى لا تنقطع وتدمير القرى والمدن واختفاء الملايين من الناس واضطراب النشاط الاقتصادى العادى مما عاق تطور البلاد والشعوب الافريقية أحقابا طوالا •

وكانت المغبة الوخيمة لتجارة الرقيق تدهور الحياة الاقتصادية والثقافية فى افريقيا ، وتوقف الحركة القومية بين الشعوب الافريقية ، والحيلولة دون نشأة الدول الكبيرة جنوب الصحارى ، وشل القوى الاقتصادية فى القارة جمعاء • وكانت هذه التجارة فى النهاية هى السبب فى التخلف الاقتصادى والتفكك السياسى الذى طال عليه الأمد فى افريقيا •

والواقع ان تجارة الرقيق أوهنت قوى افريقيا وساعدت الدول الاستعمارية فى فترة التقسيم الاستعمارى على تمزيق أوصال القارة وتحويلها الى مستعمرة مهيضة الجناح •

الفصل الثالث

الامبريالية وتقسيم الأراضي

السياسة الاستعمارية في ظل الامبريالية

لقد وجدت المستعمرات والسياسة الاستعمارية قبل ظهور الامبريالية بزمن طويل ولكن هناك فرقا محسوسا بين السياسة الاستعمارية فى العصور الماضية والسياسة الاستعمارية فى عصر الامبريالية ٠

ازداد التوسع الاستعمارى خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر ولكنه ازداد بصفة خاصة فى مطلع القرن العشرين ، والسبب المباشر لذلك هو أن الرأسمالية قبل عهد الاحتكار تحولت الى الامبريالية ومن شأن سيطرة الاحتكار على اقتصاد الدول الرأسمالية أنه يؤدى الى صراع وحشى من أجل أسواق المستعمرات والاستيلاء على مصادر المواد الخام ٠ وقد حلل لنين فى كتابه «الامبريالية أعلى مراحل الاستعمار » السياسة الاستعمارية للامبريالية فقال :

« كلما ازدادت الرأسمالية نموا وتطورا، ازداد نقص المواد الخام وازدادت حدة المنافسة والتكالب على مصادر المواد الخام فى جميع أنحاء العالم وازدادت حدة الصراع من أجل الحصول على المستعمرات » (١) ٠

لقد أضافت الامبريالية الى الدوافع القديمة للسياسة الاستعمارية قبل عهد الاحتكار دافع الصراع لا من أجل البقاء فحسب بل من أجل مصادر المواد الخام ، وتصدير رأس المال لجنى الأرباح والحصول على مناطق النفوذ ، فوجهت الرأسمالية اهتمامها لا الى مصادر المواد الخام المعروفة بل كذلك الى كافة المصادر المحتمل وجودها ٠ وقد أتاح التقدم العلمى والتكنولوجى الوسائل الكفيلة بتنمية واستخدام المواد الخام والثروة المعدنية التى لم يمكن استخدامها فيما مضى » ٠ وقال لنين : « ٠٠٠ ان رأس المال النقدى يسعى بوجه عام الى الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأرض بكافة أنواعها فى جميع البلاد وبكافة الوسائل ، مراعيا فى ذلك المصادر الكامنة (أى الموجودة بالقوة) للمواد الخام وهو يخشى أن يتخلف فى الصراع الضارى للحصول على البقية الباقية من الأراضى المستقلة أو اعادة تقسيم الأراضى التى تم تقسيمها من قبل»(٢)٠

---

(١) ف٠١٠ لنين : مجموعة المؤلفات مجلد ٢٢ ص ٢٦٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٢

ان الانتقال من الرأسمالية قبـل عهـد الاحتكار الى الرأســمالية الاحتكارية يرتبط ارتباطا وثيقا باشــتداد الصراع بين الدول الرأسمالية الكبرى على تقسيم أقاليم العالم •

وكانت الدول الأوربية « لا تملك » حتى سنة ١٨٧٦ من افريقيا سوى عشر أراضيها ، اذ لم تكن قد توغلت داخل القارة بصفة عامة •

وبدأت الدول الاستعمارية الكبرى تقسيم العالم فى العقد الثامن من القرن التاسع عشر وأتمت هذا التقسيم فى مطلع القرن العشرين •

وفى خـلال الفترة من ١٨٨٤ـ١٩٠٠ فقط حصلت بريطانيا على ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ ميل مربع من الأراضى يبلغ عـدد سكانها ٥٧٫٠٠٠٫٠٠٠ نســمة ؛ وفرنسا عـلى ٣٫٦٠٠٫٠٠٠ م٢ سكانها ٣٦٫٥٠٠٫٠٠٠ ، وألمانيا على ١٫٠٠٠٫٠٠٠ م٢ سكانها ١٤٫٧٠٠٫٠٠٠ ، وبلجيكا على ٩٠٠٫٠٠٠ م٢ سكانها ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ، والبرتغال عـلى ٨٠٠٫٠٠٠ م٢ سكانها ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة •

وفى أواخر القرن التاسع عشر تم التوسع الاستعمارى فى افريقيا بصفة رئيسية • وأصبح الصراع على تقسيم افريقيا من أهم العوامل فى السياسة الخارجية للدول الأوربية الغربيــة • وقد أثر توازن القوى وامكانيات

الدول الامبريالية المتنافسة فى نتائج هذا التقسيم ٠

افريقيا عشية التقسيم :

كان التقسيم الاستعمارى لافريقيا مسبوقا بالارتياد الجغرافى الذى تم فى القرن التاسع عشر بصفة خاصة اذ كانت الصورة الجغرافية لأقاليم القارة الداخلية غير واضحة ، فلم يعرف أحد منابع الأنهار الكبرى ، ولاشكل البحيرات ولا معالم الجبال ٠

وبدأ الارتياد فى السودان الغربى الذى أرسلت اليه معظم البعثات الأولى فى القرن التاسع عشر ثم تبعه ارتياد حوض النيجر والكونغو والنيل والزمبيزى ٠

وقام هنريش بارث الألمانى بدراسة الاقليم الواقع بين النيجر وبحيرة تشاد بالتفصيل ، وفى ١٨٥١ـ٥٥ جاب السودان الغربى فى جهات مختلفة قطع فى أثنائها ١٢٫٠٠٠ ميل ٠ وقد أوفدت الى افريقيا حوالى ٢٠ بعثة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ٠ وفى السنوات العشر ١٨٥١ـ٦٠ زاد عددها الى ٢٧ وفى ١٨٧١ـ٧٠ الى ٢٩ وفى ١٨٧١ـ٨٠ الى ٤٧ وفى ١٨٨١ـ٩٠ الى ٨٤ ، ورسمت الأنهار والبحيرات والجبال على الخريطة ٠

وكان النشاط التبشيرى ، والتجارة فى السلع الصناعية على أساس التبادل غير المتكافىء من الأشكال الأخرى للتوغل الأجنبى قبل تقسيم افريقيا ، وكان العاج

والرقيق من الأمور التى شجعت هذا التوغل ، فقد ظل اصطياد العبيـــد قائما حتى بعد سنة ١٨١٥ التى تقرر فيها تحريم تجارة الرقيق ، وسيطر التجار الأجانب على هذه التجارة « وكان مجيء التجار الأمريكيين والانجليـز والفرنسيين والألمانيين والبرتغاليين فى منتصف القرن التاسع عشر مما هيأ الأسباب لأسوأ فترة فى تجــارة العاج والرقيق ... فعندما بلغت هذه التجارة ذروتها كان ٣٠٫٠٠٠ رقيق يصدرون سنويا عن طريق زنزبار تاركين وراءهم ١٠٠٫٠٠٠ ماتوا فى الطريق الى البحر» (١) وفى الفترة ١٨٠٨ ـ ٦٠ وحدها تم تهريب ما يقرب من نصف مليون من الرقيق خارج افريقيا ، نقلوا الى الولايات المتحدة .

ولا يغربن عن بالك أن آلافا كثيرة من الافريقيين هلكوا مع هلاك مئات الألوف من الأفيال فمن بين كل خمســة حمالين يحملون العاج لم يصل على قيد الحياة الى الساحل سوى واحد ، وكان هــذا الواحد يباع بيع الأرقاء ، مما يعود على التجار بربح مضاعف .

واستهوت تجارة العاج كثــيرا من الرواد الى داخل افريقيا حيث سلكوا الطريق المؤدية الى العاج . وقد سار رتشارد فرنسيس بارتون ، ودافيد لفنجستون ، وهنرى

---

(١) و . ا . ب دى بوا ، « العالم وافريقيا » ، ص٩٧

م. ستانلى ، وفيرنى لوفيت كاميرون ، وغيرهم من مشاهير الرواد على آثار تجار العاج .

ولما بدأ التقسيم كان معين القوة قد نضب من افريقيا ، فوقعت الشعوب الافريقية عاجزة عن مقاومة الاستعماريين ثم ان التخلف السياسى والاقتصادى بث بذور الخلاف بين الافريقيين أنفسهم ، فتفرقت كلمتهم ، وانعدم التضامن بينهم . وسرعان ما استغل الاستعمار سلبية بعض الأمم الافريقية ، ونشوب الحروب الشعواء بين بعضها وبعض ، فقضى على كل عناصر المقاومة ، ولم يتهيأ للافريقيين قط أن يؤلفوا جبهة واحدة .

وفى العصر الحديث عفى الزمن على الرقيق ، ولكن بقى بريق الثروة المعدنية التى لا حصر لها . وهـــذه الثروة بالاضافة الى رخص الأيدى العاملة وامكان تحويل افريقيـــا الى ســـوق للسلع الصـــناعية هو الذى أغرى الاستعماريين وأسال لعابهم . لقد نظرت الدول الاستعمارية الى افريقيا على أنها جزء لا يتجزأ من « سياستها الكبرى » .

الامبراطورية الاستعمارية البريطانية فى افريقيا :

ســـارت بريطانيـــا بخطى حثيثة فى طريق التوســـع الاستعمارى فى افريقيا ابان النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكانت تصبو الى تكوين سلسلة متصلة من الممتلكات تمتد من مصر الى جنوب افريقيا .

وكان لمصر مكان بارز فى هذه الخطة ، لأن أقصر طريق الى الشرق بعد فتح قناة السويس كان يمر خلال البحر الأحمر وبذلك أصبحت القناة وشمال شرقى افريقيا كله ذا أهمية من الناحية الاستراتيجية ٠

فرضت بريطانيا أولا - مشتركة مع فرنسا - الرقابة المالية على مصر فأثار هذا موجة من الاحتجاج ادت الى ثورة موجهة الى التدخل الأجنبى وفى سنة ١٨٨٢ أعلن البريطانيون الاستعماريون الحرب على مصر بغية تحويل البلاد الى مستعمرة لهم ، فحاصروا الشواطىء المصرية ، وأنزلوا قواتهم فى الاسكندرية ، واستطاع الانجليز بمعاونة الخونة أن يتغلبوا على الوحدات المدافعة عن القاهرة ٠ ثم قبضوا على زعماء الوطنيين المصريين وأعدموا كثيرا منهم ، وأرسلوا الحملات التأديبية لتهدئة البلاد ، وما هى الا بضع سنين حتى تحولت مصر الى مستعمرة بريطانية فى الواقع ونفس الأمر ٠

وبعد أن استولى الاستعماريون على مصر عمدوا الى وقف تيار التقدم الاقتصادى فيها ، فتقرر تخفيض المساحة المخصصة لزراعة الحبوب وغيرها من المحاصيل الزراعية ، لينفسح المجال لزراعة القطن بقصد تصديره للخارج ٠ وفى الوقت نفسه حرموا مصر التى تنتج أجود أنواع القطن فى العالم من انشاء صناعة النسيج ٠ ولم

يسمح الاستعماريون لمصر أن تستخدم مواردها المائيه في توليد القوة الكهربية، وبذلك ران الركود على الصناعة المصرية ٠

وفي الوقت الذى استولى فيه الانجليز على مصر توغلوا في السودان ولكن محاولاتهم الأولى أخفقت أمام اتحاد القبائل والولايات السودانية التى انضوت تحت لواء محمد أحمد المهدى للدفاع عن استقلالها ، فوقف التوسع البريطانى في هذه المنطقة الى حين ٠ ولكن الانجليز فتحوا السودان بعد عدة سنوات ٠

ثم أثار الانجليز حربا بين السودان والحبشة خلال ١٨٨٥ — ٨٩ ؛ وفي سنة ١٨٩٨ شرعت قوة بريطانية كبيرة بقيادة لورد كتشنر في القيام بعمليات حربية حاسمة ، فاستخدمت المدافع الرشاشة التى اخترعت منذ عهد قريب ضد القوات السودانية ، فقتل في معركة أم درمان ما يقرب من ٢٠٫٠٠٠ سودانى بنيران المدافع الرشاشة ، وأنزل الانجليز هزيمة منكرة بالجيش السودانى، واستباحوا عاصمة البلاد٠ ولم يفقد السودان الشرقى استقلاله الا في سنة ١٩٠٠ حينما هزمت الفلول الأخيرة من الثوار السودانيين ٠

وكان لبريطانيا أملاك صغيرة نسبيا في غرب افريقيا قبل تقسيمها، وذلك في مصب نهر غمبيا وفي سيراليون

وساحل الذهب ونيجيريا :

ولقى الغزاة فى غرب افريقيا مقاومة عنيفة من لدن مملكة الأشانتى دلت على ما تتصف به قبائل الأشانتى من صلابة العود وقوة البأس •

ومن بين الحروب السبعة التى شنها الانجليز على الأشانتى فقدوا خمسة فى ١٨٠٣ ، ١٨١١ ، ١٨١٤ ، ١٨٢٤ ـ ٣١ ، ١٨٦٣ وفى الحرب السادسة فقدت الأشانتى مؤقتا عاصمتها كوماسى ، ولكنها لم تفقد استقلالها • وأخيرا حطم الانجليز مقاومتها فى الحرب السابعة التى عنى الانجليز بالاستعداد لها وفى ١٩٠١ أدمجوا مملكة الأشانتى فى مستعمرة ساحل الذهب الانجليزية •

وبدأ الانجليز « استيلاءهم » على نيجيريا ـ أكثف مستعمراتهم سكانا فى افريقيا ـ بقذف لاجوس وبنين بالمدافع ثم استولوا على الأولى فى ١٨٥١ وعلى الثانية فى ١٨٩٧ وفى سنة ١٨٨٥ وضع الانجليز جميع السواحل الممتدة من لاجوس الى « ريو ديل رى » وكذلك وادى النيجر تحت وصايتهم ، وعقدوا معاهدات مع معظم السلاطين فى شمال نيجيريا ، وبذلك أحرزوا مستعمرة من أكبر مستعمراتهم فى افريقيا ، واحتفظ السلاطين المحليون بامتيازاتهم ولكنهم أصبحوا موظفين تابعين

الوزارة المستعمرات البريطانية • وقد قام ما يسمى بالحكم غير المباشر على معاهدات من هذا القبيل •

وفى شرق افريقيا حصل الانجليز على امتيازات من سلاطين زنزبار ليحكموا ممتلكاتهم على ساحل كينيا • وفى نهاية سنة ١٨٨٦ أدى نشاط العملاء الاستعماريين من انجليز وألمان الى تداخل « الممتلكات » الألمانية والبريطانية الى حد خشى معه الصدام بين الدولتين الاستعماريتين ولكن مركز الألمان الدولى كان مزعزعا فى تلك الحقبة فلم يرضوا بأن يثيروا غضب بريطانيا فاتفقوا على التفاوض لتعيين حدود الممتلكات البريطانية والألمانية فى شرق افريقيا ، وتحديد مناطق النفوذ • وأسفرت هذه المحادثات عن توقيع اتفاق فى نوفمبر ١٨٨٦ يقضى بأن يكون أقليم تنجانيقا الحالى منطقة نفوذ ألمانية ، وأن يكون معظم كينيا الحالية مستعمرة بريطانية •

وفى سنة ١٨٩٠ وقعت شركة افريقيا الشرقية البريطانية الأمبراطورية سلسلة من المعاهدات مع رؤساء القبائل فى أقليم كينيا وبسطت سلطانها الكامل على تلك المنطقة الشاسعة • وأعطى سلطان زنزبار الشركة المذكورة — تحت الضغط والخوف على العرش — امتيازا فى كل ممتلكاته على ساحل كينيا ، وبذلك دخلت هذه الأراضى فى منطقة النفوذ البريطانية • ونقلت الشركة مقرها الى

منبسة أكبر موانىء كينيا حيث شرع جورج سوذرلاند ماكنزى ـ المدير العام للشركة ـ فى « تطوير » هـذه الأراضى • وحصلت ألمانيا على امتياز مماثل من السلطان فى منطقة نفوذها الخاصة •

وتم فى سنة ١٨٩٠ التحديد النهائى والتدعيم القانونى للمستعمرات الانجليزية البريطانية والألمانية فى شرق افريقيا ، وذلك بتوقيع اتفاق بشأن تقسيم شرق افريقيا : ويعرف هذا الاتفاق الذى أنهى صراعا استمر قرابة عشر سنوات بين الدولتين الاستعماريتين الكبيرتين بمعاهدة « هليجولاند » التى اعترفت فيها بريطانيا ببسط نفوذ ألمانيا على أراضى تنجانيقا الحاليـة ، والنزول لها عن جزيرة هليجولاند فى البحر الشمالى فى مقابل تخليها عن مطالبها فى شرق افريقيا • ودعمت بريطانيا نفوذها فى كينيا وأوغندا وزنزبار • وقد علق لنين أثناء اشتغاله بتأليف كتابه « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » على معاهدة « هليجولاند » بهذه العبارة الموجزة : « هليجولاند أعطيت بدلا من جزء من افريقيا » (١) •

وهكذا تم تقسيم افريقيا الشرقية واستولت بريطانيا على كينيا ، وأدت الحدود الاستعمارية الى تمزيق شمل

---

(١) ف • ا • لنين « المؤلفات » الطبعة الرابعة بروسيا ، مجلد ٣٩ ص ٦٧٦

القبائل والشعوب التى تربطها وشائج القربى ، واصطلت كينيا بنار الاستغلال الاستعمارى والاستعباد السياسى الذى فرضته الامبراطورية البريطانية الاستعمارية على افريقيا ٠

- وأعلنت بريطانيا ضم هذه البلاد الى التاج البريطانى وبذلك أصبح من حق الحاكم البريطانى أن يوزع ويؤجر أو يبيع أرض التاج للأغراض وبالشروط التى يراها ضرورية ٠ وفى سنة ١٩٠٢ صدر قانون يقضى بالسماح للأوربيين بأن « يحصلوا » من الأهالى على قطع من الأراضى لاتتجاوز مساحتها ١ر٣٠٠ فدان ٠ وكانوا يحصلون على هذه الأراضى بشروط ملائمة ، فكانت الأرض تؤجر أولا لمدة تصل الى ٩٩ سنة ، ولكن قانونا صدر بعد ذلك ، فمد هذه المدة الى ٩٩٩ سنة ٠ وسمحت السلطات الاستعمارية فى بعض الحالات « ببيع » قطع من الأرض تزيد على ١ر٣٠٠ فدان ٠ وشجع الاستعماريون البريطانيون استيطان الأوربيين فى كينيا ، وملكوهم أخصب الأراضى فى كينيا الوسطى (الهضبة البيضاء) وطردوا الافريقيين الى المناطق الجرداء ، وحرموهم من الحقوق السياسية ، وأخضعوهم لأحكام التفرقة العنصرية ، وأدخلوا نظام تصاريح المرور والانتقال ، وحرموا الوطنيين عدة سنين من زراعة المحاصيل التصديرية الرابحة مثل البن والشاى

وعود القرع (البيرثروم) وأدخلوا نظام الضرائب وتأجير العمال لارغام الافريقيين على العمل فى خدمة الاستعماريين .

وأرخى ليل الاستعمار البهيم سدوله على شعب كينيا، فظلوا نهبا للاضطهاد والاستغلال والنهب والسرقة عدة سنين . وزهقت بسبب ذلك أرواح لاعدد لها، ولكن شعب كينيا الباسل شن كفاحا مريرا ضد المستعمرين فى سبيل حريته واستقلاله الوطنى .

ثم تغلبت بريطانيا على غريمتيها — ألمانيا والبرتغال — فاستولت سنة ١٨٩٠ على «نياسالاند» وعلى «أوغندا» فى سنة ١٨٩٤

وكانت افريقيا الجنوبية هدفا للاستعمار الأوربى من قديم ، فقد أغرى موقعها الجغرافى المناسب ، ومناخها الملائم ، الهولنديين باقامة مستعمره صغيره منذ زمن بعيد يرجع الى سنة ١٦٥٢ ، ثم استغلت انجلترا فرصة احتلال فرنسا لهولندا أثناء حروب نابليون ، فاستولت على مستعمرة الرأس الهولندية سنة ١٨٠٦ ، وانتقل البوير — وهم سلالة النزلاء الهولنديين الأولين — الى الأراضى الواقعة بين نهرى الفال والأورنج ، وكونوا فى ١٨٥٢ — ٥٤ جمهورية الترنسفال والأورنج .

وقاوم الافريقيون توغل البريطانيين وتوغل البوير معا ، فشنت القبائل الافريقية فى هذه المنطقة حربا طويلة

ضد البوير ثم ضد البريطانيين : وفى الخمسين سنة التى تمتد من ١٨١١ الى ١٨٥٨ شن الانجليز ست حروب اتسمت بالسلب والنهب (تعرف بحروب الكفير) ضد قبائل اكسوسا . وتوضح الحرب السادسة من هذه الحروب الموقف الذى ساد فى ذلك الوقت أوضح دلالة. ذلك أن المغيرين الانجليز لجأوا الى استفزاز القبائل لكى يستولوا على الأراضى التى يملكها الاكسوسا ، ففى سنة ١٨٥٦ ضعفت قوة الاكسوسا كثيرا بسبب ما فقدوه من المواشى الكثيرة فظهر بينهم « متنبئون » تكهنوا بأن الرؤساء الأقوياء القدامى سيبعثون من موتهم بعد سنة، ويجيئون معهم بقطعان عديدة من الماشية خالية من الأمراض ، ثم قال « هؤلاء المتنبئون » ان هذا البعث لن يتم الا اذا أحرقت القبائل ما بقى من الماشية ومحاصيل الأراضى كلها أيضا . ولما كانت الاكسوسا قد سئمت ما حاق بها من المصاعب فقد صدقوا هذه النبوءة المثيرة ، وكانت النتيجة أن هلك منهم أكثر من ٢٥٫٠٠٠ نسمة فى المجاعة التى أعقبت ذلك ، وترك ١٠٠٫٠٠٠ أراضيهم وهاجروا شرقا فى حين انتقل ٤٠٫٠٠٠ الى مستعمرة الرأس حيث أصبحوا شبه عبيد للمستعمرين البريطانيين. وفى سنة ١٨٥٨ شن الانجليز الحرب السادسة ضد الكفير فى ذلك الوقت العصيب الذى حل بقبائل الاكسوسا

فهاجموا الاكسوسا الذين هاجروا شرقا وطاردوهم الى جهة الشمال الشرقى ، وذبحوا آلافا من البوشمان والهوتنتوت ، وكان هذا سببا فى وحدة قبائل البانتو فى الجنوب • ومن أمثلة هذه الوحدة اتحاد الزولو الذى قاوم الغزاة مقاومة عنيفة • وكانت الحروب التى دارت بين الانجليز والبوير والزولو حروبا وحشية للغاية يهدف الانجليز من ورائها الى ابادة الزولو والاستيلاء على أراضيهم •

وبذل الانجليز جهدهم فى استغلال واثارة النزاع بين البوير والبانتو ، متظاهرين أحيانا بالدفاع عن السكان المحليين • وبذلك استطاعوا أن يتغلغلوا فى أحشاء القارة ، فاستولوا فى سنة ١٨٨٥ على بتشوانالاند • وأثار الاستيلاء على أراضى السكان الأصليين كثيرا من الثورات ، وعمد الانجليز الى سحق الثورات التى قامت بها قبائل المتابيلى والماشونا بكل وحشية ، كما أثاروا الحروب بين مختلف القبائل ، وبذلك فرقوا كلمتها وأضعفوا شوكتها ثم سحقوا مقاومتها •

وكان اكتشاف مناجم الماس الغنية ثم مناجم الذهب فى الأراضى التى يسيطر عليها البوير حافزا جديدا للمستعمرين على تحقيق أهدافهم فى السلب والنهب ، فوجه الانجليز جهودهم الحربية الأساسية نحو اخضاع

البوير أقوى غرمائهم فى جنوب افريقيا ، وبدأوا العمليات الحربية سـنة ١٨٩٤ ، فأبدى البويـر مقاومة عنيفة ، وأحرزوا سلسلة من الانتصارات ، ولكنهم فى الوقت الذى كافحوا فيه من أجل استقلالهم سعوا الى استغلال السكان المحليين • وأخيرا تحطمت مقاومتهم فى سـنة ١٩٠٢ أمام تفوق قـوات الامبراطورية البريطانيـة ، وأصبحت جمهوريات البوير مستعمرات بريطانية ، ثم ضمت عشية الحرب العالمية الأولى الى اتحاد جنوب افريقيا •

واسـتولت بريطانيـا فى جنوب افريقيا على أراض شاسعة أصبحت تعرف باسم روديسيا الشمالية والجنوبية ، وذلك نتيجة للجهود القوية التى بذلها أصحاب رءوس الأموال بزعامة سيسيل رودس ، واستولى الاسـتعمار البريطاني على مناجم الذهب والماس الضخمة ، وعلى كثير من الأراضى الخصبة •

وفى زمن النهب الاستعمارى كان أحب النـاس الى الشـعب البريطانى من بين رجـال الحكم رجال أمثال سيسيل رودس وجوزيف شمبرلين « اللذين أيدا الاستعمار علنا وطبقا السياسة الاستعمارية بأرذل الوسائل »(١) •

وقد صرح سيسيل رودس من كبار رجال الأعمـال والاستعماريين لصديقه « ستيد » قائلا : « على رجـال

---

(١) فـ • ١ • لنين « مجموعة المؤلفات » مجلد ٢٢ ص ٢٥٦

السياسة الاستعماريين أن يتملكوا أرضا جديدة لتوطين السكان الزائدين ، وايجاد أسواق جديدة للسلع التى تنتجها المصانع والمناجم • ان الامبراطورية كما قلت هى مسألة خبز وزبد فاذا أردت أن تتجنب الحرب الأهلية فعليك أن تصبح استعماريا » (١) •

توسع فرنسا الاستعمارى فى افريقيا

كان شاطىء افريقيا الشمالى هو أول أرض اجتذبت الاستعمار الفرنسى • فقد استولت فرنسا على الشريط الساحلى من الجزائر فى زمن مبكر يرجع الى سنة ١٨٣٠ ولكن توغلها فى هذه البلاد كان بطيئا بسبب ما أبداه الشعب الجزائرى من شدة المراس •

وان الكفاح الدال على البطولة الذى خاضه الشعب الجزائراى بقيادة الأمير عبد القادر خلال المدة ١٨٣٢ـ٤٧ لهو من أنصع الصفحات فى تاريخ الشعوب الافريقية التى جاهدت لصد تيار الغزو الأجنبى • وقد نفذ الأمير عبد القادر سلسلة من الاصلاحات الادارية كما نظم وسائل الدفاع عن البلاد ، واضطر الفرنسيون أكثر من مرة الى عقد معاهدات الصلح معه • وفى سنة ١٨٤٧ بذل الفرنسيون جهودا دائبة ، فهزموا القائد الجزائرى • ومع ذلك ظلت البلاد تقوم بالثورة على الغاصب المحتل

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٧

من حين الى آخر حتى بعد أن أخمدت المقاومة ، وظلت الجزائر حتى سنة ١٨٧١ تحت ادارة الجيش .

وانتزع الفرنسيون ملكية الأراضى من الجزائريين وأعطوها للمستوطنين الفرنسيين ، واستولت الطبقة الراقية الممتازة من المستوطنين على قطع ضخمة من أخصب الأراضى الجزائرية ، وربط هؤلاء القوم مصايرهم بالاستعمار ، وناصروا التوسع الفرنسى بقوة .

وكانت الضحية التالية بعد الجزائر هى تونس ، اذ عبرت ثلاث فرق فرنسية الحدود من الجزائر الى تونس فى سنة ١٨٨١ ، وعرض الفرنسيون على باى تونس معاهدة تنص على بسط حماية فرنسا على تونس . ولما علم البـاى أن فرنسا تفاوض أحد الأمراء الاقطاعيين المحليين من الطامعين فى العرش قبل الانذار الفرنسى النهائى بلا قيد ولا شرط فأصبح حاكما صوريا ، وتركزت كل السلطة فى يد المقيم العام الفرنسى الذى تولى منصب رئيس وزراء تونس ، وأوتى حق الاعتراض على قرارات الباى ، وتعين قائد القوات الفرنسية فى تونس وزيرا للحربية .

ونالت فرنسا تأييد بريطانيا ضد ايطاليا ، فى كفاحها للسيطرة على تونس وكانت ايطاليا تطمع فى البلاد .

وبقيت مراكش مستقلة ردحا من الزمن ، ولم تبسط

فرنسا حمايتها عليها الا فى سنة ١٩١٢، واستولت اسبانيا على شمال مراكش • وحالت المنافسة بين الدول الاستعمارية حول الاستيلاء على مراكش دون سيطرة احداها على البلاد، واشتد الصراع بصفة خاصة بين فرنسا وألمانيا • وكانت ألمانيا تطمع فى مراكش لتتخذ منها قاعدة حربية أساسية على الساحل الافريقى الواقع على المحيط الأطلنطى والبحر المتوسط وعلى ملتقى الطرق البحرية الكبرى وانعقدت عدة مؤتمرات خاصة لبحث « المسألة المراكشية » ، وأوشكت الحرب أن تنشب بين الدول الاستعمارية مرتين بسبب الأزمة المراكشية ثم انتصرت فرنسا فى النهاية بتأييد انجلترا ، واضطرت ألمانيا أن تقبل حلاً وسطا ، فاعترفت بالحماية الفرنسية على مراكش ، فى نظير الحصول على تعويض من فرنسا فى الكونغو • بيد أن هذا الاتفاق كان صفقة استعمارية أخرى على حساب افريقيا ، اذ أرسلت فرنسا ٥٠٫٠٠٠ جندى الى البلاد ، ولكن الشعب تصدى للغزاة • وكانت النتيجة أن استمرت حرب السلب والنهب عشرين سنة حتى لقد أطلق القادة الفرنسيون على مراكش اسم « الجبهة الثانية » •

كان مخطط التوسع الاستعمارى الانجليزى فى افريقيا يستهدف انشاء سلسلة قوية من المستعمرات الممتده من الاسكندرية فى الشمال الى رأس الرجاء الصالح فى الجنوب،

بينما كانت الخطط الفرنسية تستهدف انشاء مستعمرات من المحيط الأطلنطى فى الغرب الى البحر الأحمر فى الشرق . وكانت السنغال التى استولت عليها فرنسا فى القرن السابع عشر بمثابة نقطة الوثوب الرئيسية للتوسع جنوب الصحارى وأصبحت « فورت مدينة » ، التى بنيت على مسافة ٨٠٠ ميل من ساحل البحر على قطعة أرض اشتريت من السلطان المحلى ، هى الموقع الأمامى للتوسع الاستعمارى فى غرب السودان .

وتقدم الفرنسيون ببطء ، وشيدوا مواقع قوية ، وأبرموا معاهدات مع الحكام المحليين ، ليتيحوا لأنفسهم مهلة من الزمن ، واستطاعوا بذلك أن يستولوا على أراض جديدة ولاقوا فى سبيل الاستيلاء عليها مقاومة عنيفة من قبائل وولوف ، ومالنكى ، وتوكولود وغيرهم .

ولما بدأ الغزو الاستعمارى كانت افريقيا الغربية ممزقة الأوصال فكانت هناك عدة ممالك منتشرة بين السنغال والنيجر ، تضم احداها قبائل التوكولور والبانمام وغيرهما ويحكمها السلطان أحمدو ، خليفة الحاج عمر الذى أوقف الزحف الفرنسى فى أواسط القرن التاسع عشر ، والى جنوب ذلك مملكة أخرى عاصمتها بيساندوجو ، ويحكمها ساموری ، من أبناء أحد التجار المتجولين . وكانت مملكة ساموری متحدة الكلمة لأن

أهلها تربطهم وحدة السلالة اذ كان معظمهم ينتمون الى قبيلة مندنجو • والى جنوب ذلك مملكة كايور التي يتألف معظم سكانها من قبائل الولوف وكانت هناك عدة امارات اسلامية في الجزء الشمالى مما يعرف اليوم باسم نيجيريا الشمالية وكذلك عدد من الممالك فى الاقليم المتاخم لبحيرة تشاد •

وفى سنة ١٨٨٣ وصل الفرنسيون الى مدينة بماكو ، فشنوا منها حروبهم ضد المملكتين الكبيرتين اللتين يحكمهما ساموري وأحمدو ، ودلت الاشتباكات الأولى على أن الصراع سيكون طويل الأمد ، وكان ساموري أقوى الرجلين • وفى سنة ١٨٨٧ أرادت فرنسا أن تعزل احدى المملكتين عن الأخرى فأرغمت أحمدو على توقيع اتفاق خاص يحول دون قيام جبهة موحدة من المملكتين •

وكان فى وسع ساموري أن ينقل قومه الى أراض جديدة مما أثار المتاعب فى وجه الفرنسيين • ومما سهل عليه الأمر أنه لم يكن له جيران أقوياء • وتحقيقا لهذه الغاية قسم ساموري قواته الحربية ثلاثة أقسام كلف أحدها صد الفرنسيين ، والثانى اعداد الأراضى الجديدة والثالث اجلاء الأهالى وأمتعتهم ، فمكنت هـذه الخطة ساموري من أن يحارب جيشا فرنسيا كبيرا لمده تقرب من عشر سنوات •

وفى سنة ١٨٩٠ شرعت فرنسا فى فتح السودان الغربى كله ، فسيرت الحملات الحربية بمحاذاة نهر النيجر وأقامت معاقل لها على طول الطريق . وتسهيلا لهذا التوسع قرر الاستعماريون بناء خط حديدى يصل ساحل السنغال على المحيط الأطلنطى بداخلية البلاد . وفى سنة ١٨٨٣ استولى الفرنسيون على چنى وتمبكتو، وبعدها استولوا على سائر البلاد .

وقد سلك الفرنسيون فى فتح السودان الغربى أقسى الوسائل الوحشية : فلم يرحموا شيخا ولا طفلا ولا امرأة . واليك وصف شاهد عيان لما جرى : « أعقب الحصار هجوم ، وصدر الأمر باستباحة المدينة ، وأخذ كل انسان أسيرا أو صرع قتيلا ، وقيد الأسرى فى السلاسل والأغلال جماعات ، وأخذ القائد يوزع الغنائم ، فكتب شيئا فى مذكرته ، ثم كف عن الكتابة وقال : « اقتسموا الغنائم فيما بينكم » وفى سبيل هذا الاقتسام دارت معارك ومشاجرات .

« وفى طريق العودة سار الجنود ٢٥ ميلا يوميا ، وهم يجرون الأسرى وراءهم ، ويضربون الأطفال وكل من سقط على الأرض من التعب والاعياء بأطراف البنادق أو الحراب حتى يموتوا ...

« وتناثرت الجثث على طول الطريق ، وسرعان ماقعدت

امرأة القرفصاء وكانت حاملا فنخسها الجنود بطرف البندقية ، فوضعت طفلها على ساقيها ثم قضمت الحبل السرى بأسنانها ، ولفظت الطفل بعيدا عنها دون أن تعبأ بأن تنظر اليه من طرف خفى ...

« أما الافريقيون الذين جندوا على طول الطريق لحمل أكياس الدخن فلم يذوقوا الطعام طوال خمسة أيام . ومن اجترأ منهم على تناول حفنة من الدخن من أحد الأكياس كان جزاؤه خمسين جلدة بالسياط » (١) .

وفى المدة من ١٨٩٠ – ٩٣ غزا الفرنسيون مملكة أحمدو فى معركة خاطفة ، وجهوا هممهم بعدها الى ساموری ، فأحرزوا انتصارا حاسما فى مدينة كونج سنة ١٨٩٨ ، ونفوا ساموری الى جابون .

وفى سنة ١٩٠٠ استولت فرنسا على جميع الاقليم الواقع حول بحيرة تشاد وارتكبوا فى سبيل ذلك من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان ، ويقول فى ذلك شاهد عيان : « ... كانت هناك قرى خاوية على عروشها . أينما قلبت الطرف رأيت عظاما آدمية ... وأشلاء متناثرة على أديم الأرض تنهش فيها الكلاب الضامرة الضخمة» . (٢).

---

(١) جان سوريت – كانال « افريقيا السوداء الغربية والوسطى » ص ٢٤١

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٧

وتحطمت الى حين مقاومة الأهالى فى أواسط السودان وغربه وهى المقاومة التى استمرت نصف قرن من الزمان ٠

وقد استمر القتال فى بعض الأقاليم عدة سنين ، فمثلا استمرت الاشتباكات مع قبائل الطوارق (التوارك) حتى عشية الحرب العالمية الأولى ٠

ثم تقدم الفرنسيون جهة الشرق ، حتى وصلوا الى فاشودة (كودوك) الواقعة فى وادى النيل بالسودان الشرقى ، وهناك اصطدمت بهم القوات البريطانيةالقادمة من الشمال ، فنشأت أزمة من أخطر الأزمات فى تاريخ التنافس الاستعمارى على تقسيم افريقيا ٠ ولاحت نذر الحرب بين انجلترا وفرنسا ولكن فرنسا تقهقرت فسحبت قواتها من السودان الشرقى ٠

ثم وحدت فرنسا مستعمراتها الافريقية فى اقليم واحد أسمته افريقيا الغربية الفرنسية وحكمته بيد من حديد ، فاذا بدرت من السكان أدنى بادرة سامتهم سوء العذاب، وبذلك هامت افريقيا الغربيــة ومنها مالى فى دياجير الاستعمار الحالكة ٠

وفى الوقت الذى قامت فيه فرنسا بغزو السودان بذلت قصارى جهدها لغزو البلاد الواقعة على طول خليج غينيا ، وأسست مستعمرات كبيرة فى غينيا أولا ثم فى

ساحل العاج ثانيا وذلك عن طريق عقد المعاهدات الغامضة مع رؤساء القبائل المحليين .

وكانت أشد مقاومة لقيتها فرنسا فى هذه المنطقة هى مقاومة داهومى ، وهى مملكة قوية البأس ، ذات جيش دائم . وكان فى وسع حكامها أن يعبئوا السكان اذا حزب الأمر . وبدأت الاشتباكات فى داهومى سنة ١٨٨٩ ، فأنزل جيشها المدرب سلسلة من الهزائم بالمستعمرين . وتم التوقيع على هدنة سنة ١٨٩٠ ولكن الحرب تجددت بعد سنتين . وعلى الرغم مما أبدته داهومى من مقاومة عنيدة فان الفرنسيين تمكنوا من فتحها فى نهاية ١٨٩٢ ، ويرجع السبب فى ذلك الى افتقار داهومى الى المال اللازم لمواصلة الحرب فى وقت واجهت فيه عدوا شاكي السلاح . وكانت تجارة الرقيق هى المصدر الأكبر للدخل عند حكام داهومى ، فلما توقفت هذه التجارة حرمت البلاد التى كانت متخلفة اقتصاديا من الوسائل التى تزود جيشها بالمعدات وتنظم طرق الدفاع .

وفى ١٨٧٩ ــ ٨٢ احتل الفرنسيون جابون ثم وقعوا على معاهدة تخولهم حقوقا خاصة ، فاستتب الأمر لهم فى اقليم الكونغو .

وكذلك وقعت جزيرة مدغشقر فريسة لتوسع فرنسا الاستعمارى . وكانت القبائل الملجاشية قد وصلت الى

درجة عالية من التطور الاجتماعى عندما غزا الفرنسيون الجزيرة التى كانت تحت حكم ملكية اقطاعية مركزية قامت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر • وكانت الصناعة تسير فى طريق التقدم، وأخذت الصحف والكتب تنشر بلغة ملجاش ولكن الغزو الفرنسى أوقف هذه النهضة •

وفى سنة ١٨٨٣ طالبت فرنسا بالاشراف على سياسة مدغشقر الخارجية ، وأيدت مطلبها بارسال أسطول صغير من السفن الحربية ، فضرب المدن الساحلية بالقنابل ، فاضطرت مدغشقر سنة ١٨٨٥ الى توقيع معاهدة غير متكافئة منحت فرنسا خليج دييجو ـ سواريز •

وفى سنة ١٨٩٥ أرسلت فرنسا بعد مهلة من الزمن وبموافقة انجلترا حملة عسكرية الى مدغشقر ، فاستولت على تناناريف العاصمة • وردا على ذلك قام الأهالى بثورة مسلحة وضعت فرنسا فى مأزق حرج أكثر من مرة • وظل المستعمرون حتى سنة ١٨٩٧ منهمكين فى شن حملات انتقامية وحشية على أهل الجزيرة ، وتوسلوا الى تحطيم مقاومة شعب ملجاش باثارة العداوة والبغضاء بين مختلف طبقات السكان ، وتجنيد الأرقاء السابقين فى الجيش الذين لا يملكون وسيلة للعيش •

وكان الاستيلاء على المستعمرات مقرونا على الدوام بالامعان في استغلال السكان من جانب الأمراء المحليين والمستعمرين الأجانب ٠

الغزو الاستعماري الألماني في افريقيا :

حذا الألمان حذو غيرهم من المستعمرين ، فسعوا الى خلق امبراطورية استعمارية فى افريقيا ، ولكن ألمانيا دخلت هذا السباق متأخرة وهذا جعل الاستعماريين الألمانيين أشد ضراوة وعدوانا ٠

ففى سنة ١٨٨٤ أعلن بسمارك المستشار الألمانى أن ألمانيا ستضع اقليم « أنجرا بكرينا » فى جنوب غربى افريقيا تحت حمايتها ٠ وكان أحد التجار الألمان واسمه فرانز لودرتز « اشترى » هذا الاقليم من أحد رؤساء القبائل المحليين بثمن بخس قدره ثمانون دولارا ومائتا بندقية قديمة ٠

وبدأ غزو اقليم توجو والكاميرون سنة ١٨٨٤ بهذه الطريقة نفسها ٠

وحولت الحكومة الألمانية « ممتلكات » لودرتز الى محمية وأرسلت أسطولا استولى على المدن الرئيسية على الساحل الافريقى من حدود انجولا الى نهر الأورنج ٠ ثم توغل الألمان فى الداخل وضموا اقليما شاسعا فى جنوب غربى افريقيا يمتد الى بتشوانالاند ٠

وهنـاك أقاموا حكما اسـتعماريا لا يعرف الرحمـة ، فانتزعوا معظم الأراضى المملوكة للافريقيين • وفى أوائل ١٩٠٤ ثارت قبائل الهيرورو على جور الألمان • وفى نهاية العام انضم اليهم قبائل الهوتنتوت ، ولكن الاستعماريين بفضل تفوقهم الحربى والفنى أنزلوا عددا من الهزائـم الساحقة بالثـوار ، واشتركت القوات البريطانية فى المرحلة الختامية لهذه العمليات الحربية فهلك عدد كبير من قبائل الهيرورو والهوتنتوت ثم أعيد توطين الفلول الباقية منهم فى أقاليم جدباء قاحلة أو نقلوا الى العمـل فى مزارع الألمانيين • وفى سنة ١٩٠٧ صودرت أراضى الهـيرورو والهوتنتوت ، وحل تنظيمهم القبائلى وقتـل هندريك ويتبوئى الذى قاد الثورة ضد الألمان •

عامل الجنود الأوربيون ـ من أى أمة كانت ـ السكان الافريقيين بدون شفقة ولا رحمة ، فأغرقت وحدات الجيش الألمانى ثورة الماچى ماچى فى تنجانيقا فى بحر من الدماء ، ونزع الجنود البروسنيون أسلحة « العصاة » الافريقيين ، وقيدوهم بالسلاسـل فى الأشجار وأقاموا معسكرات الاعتقال فى وهج الشمس •

ولا تزال السجون التى بناها الألمان قائمة حتى اليوم على الطريق من أوسمبورا عاصمة بوروندى الحالية التى أقامت فيها الحاميات الألمانية الى المحيط الهندى • لقد

جلب الغزاة الألمان الى افريقيا «حضارة» لحمتها السجون ، وسداها معسكرات الاعتقال ٠

وعلى طول الساحل الشرقى ضم الألمان أراضى ضخمة فى اقليم تنجانيقا ورواندا وبوروندى ٠ وتم تعيين حدود هذه المستعمرة التى أطلق عليها اسم افريقيا الشرقية الألمانية بمقتضى الاتفاقيات التى وقعها الانجليز والألمان فى سنة ١٨٨٦ ، ١٨٩٠ ؛ وقد سار الألمان فى مستعمراتهم على سياسة السخرة ، ونزع الأراضى من الأهالى ، وفرض الضرائب الفادحة عليهم ٠

وفى خلال مدة قصيرة تبلغ نحو خمس عشرة سنة استولى الألمان على أراضى شاسعة يربو عدد سكانها على عشرة ملايين نسمة ٠

تقسيم افريقيا الوسطى وضم أراض استعمارية أخرى

كان كثير من شعوب افريقيا الوسطى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر لا يزال فى مراحل مختلفة من النظام المشاعى البدائى ، وكان بعضها فى مرحلة الانتقال الى المجتمع الطبقى ، فنشأت مملكة الكونغو الكبيرة فى مصب نهر الكونغو ولكنها تفككت عشية تقسيم افريقيا الى ممالك صغيرة ٠

وقد شاءت المنافسة الحادة بين الدول الاستعمارية

الكبرى أن تدفع مملكة بلجيكا الاستعمارية الصغيرة الى مكان الصدارة ، اذ لم ترد أية دولة من الدول الكبيرة أن ترى منافستها الرئيسية فى هذا الاقليم الغنى من العالم • ونتيجة لذلك قامت العاصمة البلجيكية بالدور الرئيسى فى استعباد افريقيا الوسطى • وكان ليوبولد الثانى ملك بلجيكا من أكبر المغامرين السياسيين فى تاريخ العالم ، فكون ما يسمى الجمعية الافريقية الدولية• وباسم هذه الجمعية التى أعيد تنظيمها فيما بعد الى شركة تحت اسم آخر ، وقع الرحالة الشهير هنرى مورتون ستانلى وغيره ما يقرب من ٤٥٠ معاهدة مع رؤساء القبائل تقضى بوضع الأراضى التى يحكمونها تحت الحماية •

وقد قرر مؤتمر برلين فى ١٨٨٤ ـ ٨٥ الذى دعت الى عقده فرنسا وألمانيا أن تكون الكونغو ملكا خاصا لليوبولد الثانى • وفى سنة ١٩٠٨ وضع ليوبولد الثانى الكونغو تحت الادارة البلجيكية فى نظير تعويض كبير ، واتبعت هذه الادارة نظام السخرة الذى يتسم بالوحشية البالغة فى المستعمرات البلجيكية ، وسامت الأهالى سوء العذاب•

وفى أوائل القرن العشرين أصبح للبرتغال مستعمرتان كبيرتان هما أنجولا وموزمبيق ، وذلك بالاضافة الى ممتلكات صغيرة •

وضمت اسبانيا الساحل الغربى من الصحارى وعدة أقاليم صغيرة فى أنحاء أخرى من افريقيا ، وذلك بالاضافة الى مراكش •

وقد أدى الصراع على مناطق النفوذ بين الدول الاستعمارية الكبرى الى تمكين البرتغال واسبانيا من الاحتفاظ بممتلكاتهما الافريقية •

وكذلك اشتركت ايطاليا فى تقسيم افريقيا ، ففى ١٨٩٠ وحدت ممتلكاتها فى الشمال الشرقى من افريقيا فى مستعمرة ارتريا • وفى ١٨٩٥ غزت الحبشة دون اعلان حرب عليها ، ولكنها منيت بهزيمة منكرة فى معركة عدوة الشهيرة سنة ١٨٩٦ ، فاضطرت ايطاليا الى الاعتراف باستقلال الحبشة عندما أخفقت فى تحويلها الى مستعمرة • واشتركت ايطاليا مع بريطانيا وفرنسا فى تقسيم الصومال ، ثم ضمت ليبيا أثناء الحرب مع تركيا فى سنة ١٩١٢

وانتصرت الولايات المتحدة فى الصراع حول السيطرة على ليبريا ، ففى سنة ١٨٢٢ استولت الشركة الاستعمارية الأمريكية على قطعة من الأرض فى افريقيا فى نظير قليل من صناديق الطباق ، والبارود وبعض الحلى • وأرسلت الولايات المتحدة طائفة صغيرة من الزنوج فوطنتهم فى هذه المنطقة التى ظل يديرها حاكم أمريكى حتى سنة

١٨٤٧ ، ثم أعلنت جمهورية ليبريا • وفى سنة ١٨٩٢ اتسعت حدود هذه الجمهورية على حساب بعض الأقاليم الداخلية • وفى نهاية القرن التاسع عشر أحبطت الولايات المتحدة الأمريكية محاولات انجلترا لضم ليبريا •

نتائج التقسيم الاستعمارى لافريقيا وبدء الصراع لاعادة تقسيم المستعمرات

فى أوائل القرن العشرين تم تقسيم الشطر الأكبر من افريقيا على النحو الذى ذكرناه ، ولكن الصراع كان يدور فى بعض الأقاليم حول اعادة توزيع الممتلكات الاستعمارية •

ان الشعوب الافريقية أبدت مقاومة عنيفة ضد الاستعمار ، فلم تكف عن النضال أثناء الاستيلاء على المستعمرات ، وبعد هذا الاستيلاء ، فظلت الثورات تشتعل فى جميع ممتلكات الدول الاستعمارية وكان هذا النضال وهذه الثورات يتفاوتان فى درجة التنظيم فى مختلف البلاد الافريقية ، فكان فى الحبشة ومدغشقر مثلا حكومة مستقرة ثابتة ، وجيوش دائمة مزودة بالأسلحة النارية الحديثة ، وكذلك حشدت هاتان الدولتان قوة بشرية وموارد مادية كبيرة الا أن الدفاع فى معظم الأحوال كان فى صورة حروب وثورات تقوم بها كل قبيلة على حدة • وان تاريخ هذا النضال لحافل بأعمال البطولة والبسالة •

لقد عجزت الشعوب الافريقية عن منع الدول

الاستعمارية من تقسيم افريقيا وذلك لعدم استعدادها العسكرى الذى يرجع الى تخلفها الاقتصادى والاجتماعى، بينما كانت الجيوش الأوربية مزودة بأحدث الأسلحة ، ومن هنا كان الصراع بين الطرفين غير متكافىء . وهناك عامل كبير آخر أدى الى هزيمة الافريقيين ألا وهو تفككهم وتفرق كلمتهم ، ثم جاء الاستعمار فنفخ فى هذا الخلاف، وبث روح العداوة بينهم ، واستغل الصراع المرير بين رجال الاقطاع وزعماء القبائل .

وقد أدت الحدود الاستعمارية التى أملتها روح المنافسة الشديدة بين الدول الى تقسيم الأقاليم التى وحد بينها التاريخ تقسيما تعسفيا ، كما أدت الى توزيع السكان الذين ينتمون الى سلالة واحدة ، والاخلال بالتكوين الطبيعى للأمم الافريقية ، فالأرض التى يسكنها شعب واحد وقعت تحت حكم دول أجنبية مختلفة حتى لقد فتتت الحدود السياسية أمما بأسرها فى معظم الحالات، وبذلك انقسمت أراضى معظم الشعوب الافريقية .

وانك لو قلبت النظر فى خريطة افريقيا الحديثة التى تظهر فيها ٣٥ دولة ذات سيادة لتعذر عليك أن تجد دولة واحدة على الأقل ليس لها مطالب اقليمية من دولة أخرى . فلم تنقسم شعوب بأسرها فحسب بل لقد انقسمت القبيلة الواحدة والأمة الواحدة ، وهذا من رواسب الاستعمار

وآثاره الضارة . مثال ذلك أن شعب « يو » خضع لحكم ألمانيا وبريطانيا ، ثم قسمت بلاده بعد الحرب العالمية الأولى بين بريطانيا وفرنسا وترتب على ذلك أن جزءا من شعب « يو » يعيش فى غانا وجزءا آخر يعيش فى توجو . واليوم يعيش شعب الماساى فى كينيا وتنجانيقا وشعب الماليكنا فى غمبيا وغينيا ومالى ، وليبريا ، وسيراليون ، وساحل العاج ، ويعيش الولوف فى السنغال وغمبيا . وأخيرا قسم الصومال بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا .

وهناك كثير من المسائل المعلقة فى غرب افريقيا وغيره من أنحاء القارة ، فالحدود بين كثير من المستعمرات الفرنسية السابقة لا تزال غير واضحة . ومن أمثلة ذلك مطالبة داهومى والنيجر بجزيرة ليت فى اقليم الحدود على طول نهر النيجر . ويمكن أن يتخذ جبل كلمنجارو ــ أعلى جبل فى القارة ــ مثلا آخر لتعسف المستعمرين ، ففى وقت ما كان هذا الجبل جزءا من أراضى مستعمرة كينيا البريطانية ، ثم أهدته الملكة فكتوريا الى الامبراطور الألمانى ولهلم الأول بمناسبة عيد ميلاده ، فأصبح جزءا من تنجانيقا التى كانت حينئذ جزءا من أفريقية الشرقية الألمانية . وهكذا استبد الاستعماريون بتقسيم افريقيا دون أن يأخذوا رأى الافريقيين .

ومن سمات افريقيا الحالية أنه لا توجد فيها وحدة

بين القبائل ولا الأمم ولا الدول ، وهو الأمر الذى أدى الى الحركة الداعية للوحدة الافريقية ٠

وقد تحدث موديبوكيتا رئيس جمهورية مالى فى مؤتمر رؤساء الدول والحكومات الافريقية المستقلة المنعقد بأديس أبابا فى مايو ١٩٦٣ فقال : « يجب علينا أن نتخلى عن مطالبنا الاقليمية اذا أردنا أن نحول دون قيام ما يمكن أن يسمى « بالامبريالية السوداء » فى افريقيا٠ ان الوحدة الافريقية تتطلب المحافظة بدقة على الحدود التى ورثناها من النظام الاستعمارى » (١) ٠ وعبر ديالوتلى مندوب جمهورية غينيا فى الأمم المتحدة عن هذه الفكرة فيما يلى : « ان الحدود الحالية بين الدول الافريقية هى حدود تعسفية وجائرة ولكن يجب عدم تغييرها بالقوة٠٠» (٢)٠ وينص ميثاق منظمة الوحدة الافريقية الذى تم اقراره فى أديس أبابا على وجوب تسوية المنازعات بالمفاوضات٠ ويجب ألا ننسى أن المنازعات قد تفيد المستعمرين ٠

ان افريقيا تحتاج أكثر من أى وقت مضى الى حدود يسودها السلام فالحكومات المغربية ـ مثلا ـ اضطرت تحت ضغط الشعب أن تذهب الى بماكو لتجلس على مائدة المفاوضات لوقف القتال على الحدود المغربية ـ الجزائرية٠

---

(1) World Marxist Review, No. 5. P·84

(٢) المصدر السابق ٠

وتجلى الاتجاه الى تسوية منازعات الحدود بالطرق السلمية فى غانا وتوجو وداهومى والنيجر وفى كل مكان آخر . وفى سنة ١٩٦٤ أدرجت مسألة التسوية السلمية فى جدول أعمال الدورة الثانية لمجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية . ذلك أن التسوية السلمية لمسائل الحدود جزء لا يتجزأ من الكفاح فى سبيل الوحدة والسلم الافريقية .

وقد لقى الاقتراح السوفيتى بعقد معاهدة لحظر استعمال القوة فى تسوية المنازعات الاقليمية ترحيبا كبيرا فى أفريقيا ، وقد أعرب آرثر أوتشسوادا نائب السكرتير العام لحزب الاتحاد الوطنى الافريقى بكينيا عن ترحيبه بهذا القرار فقال : « انه يتفق تماما مع أهداف افريقيا فى الوقت الحاضر » .

وأعرب د. كوامى نكروما عن تأييده الصادق للاقتراح السوفيتى فقال : « ان خطر المنازعات حول الحدود المفضية الى انهيار ما نصبوه من الوحدة الافريقية هو خطر بالغ وماثل على الدوام فى افريقيا التى فرض فيها المستعمرون والامبرياليون حدودا تتنافى مع المنطق والقانون » .

ولا ريب أن أى بحث لمسألة العلاقات بين الشعوب المختلفة التى تعيش فى دولة واحدة يجب أن يكون بحثا

اختياريا محضا يقوم على أساس التخلى عن استخدام القوة ضد الشعوب الأخرى صغيرها وكبيرها .

ان الدول الاستعمارية قسمت افريقيا فى ظروف اشتدت فيها المنافسة بينها ، وتجلت فيها المتناقضات الانجلو - ألمانية ، والانجلو فرنسية والفرنكو ألمانية ثم جاءت مطالب القرصان الصغار فزادت الطين بلة ، اذ استغلت ايطاليا واسبانيا والبرتغال وبلجيكا المتناقضات بين القرصان الكبار من دول الاستعمار ، فأغراها الطمع لا فى تدعيم مستعمراتها فحسب بل فى زيادتها أيضا .

وقد فاز الاستعمار البريطانى بالحظ الأوفر فى سباق الاستيلاء على الأقاليم ذات الأهمية الاستراتيجية والثروة الطبيعية ، فضم من الأراضى ما مساحته ٤ر٧٠٠٠٠٠ ميل مربع . وثبت أن الممتلكات البريطانية غنية بالذهب والماس والنحاس والرصاص والزنك وغيرها من المعادن . وفضلا عن ذلك فان هذه الأقاليم تزود العالم بالقطن والكاكاو والموز ولب النارجيل وغيرها من الغلات المدارية .

وكانت الامبراطورية الفرنسية أصغر من ذلك قليلا اذ بلغت مساحتها ٤ر١٦١٠٠٠ ميل مربع . وتبين أن بها مخزونا كبيرا من الفوسفوريت ، وخام الحديد والمنغنيز والمعادن غير الحديدية ، وأنها تنتج البن والسيسال والأرز والمطاط ، وغيرها من الغلات بمقادير كبيرة .

وضمت بلجيكا من الأراضى ما تربو مساحته على ٩٠٠,٠٠٠ر١ ميل مربع • وبلغت مساحة المستعمرات الألمانية نحو ٠٠٠ر٥٠٠ر١ ميل مربع • وبسطت البرتغال سيلطانها على مساحة تربو على ٠٠٠ر٢٠٠ر١ ميل مربع•

لم تقنع أية دولة استعمارية بحظها فقد بدا للمستعمرين أن ما ظفروا به لا يفى بالمرام • ولذلك لم يكن بد من أن ينشب الصراع بينهم • وكانت حرب البوير خلال ١٨٩٩ ـ١٩٠٢ أولى المجازر الاستعمارية لاعادة تقسيم الغنيمة•

وتحول التنافس الاستعمارى والصراع على مناطق النفوذ بين الدول الاستعمارية الى صراع عالمى • وكان هذا الصراع هو الحرب العالمية الأولى •

ولما تم تقسيم افريقيا أخذ المستعمرون فى « تنمية» مستعمراتهم وتحويلها الى مصادر للمواد الخام، فاستنزفوا ثروة القارة واستعبدوا أهلها واستغلوا سكانها ، وأرغموا كثيرا من القبائل على الاقامة فى « الأرض البراح » الجرداء • وأزهق الاستعماريون مئات الألوف من أرواح الافريقيين فى انشاء المزارع وبناء السكك الحديدية لنقل غلات المزارع والمعادن من الداخل الى الساحل • وأرغموا الفلاحين على انتاج محصول واحد للتصدير فأصبحت توجو ونيجيريا ـ مثلا ـ تنتج زيت النخيل وغمبيا والسنغال الفول السودانى، وساحل الذهب وساحل العاج الكاكاو،

وموزمبيق وتنجانيقا السيسال ، وهكذا دواليك • وكان من نتيجته الاعتماد على محصول واحد ، واحتكار المشتريات، والاتفاقات ذات الجانب الواحد والهوة بين أسعار المواد الخام وأسعار السلع الصناعية أن أصبحت المستعمرات تعتمد على رأس المال الأجنبى اعتمادا كليا ، ووقع على كاهل الافريقيين العمل القاصم للظهر فى المزارع والمناجم، والظلم السياسى وسوء الأحوال المعيشية ، وجلب الاستغلال الاستعمارى أرباحا ضخمة للمستعمرين ، وتطورت القوى الانتاجية فى افريقيا ببطء الى حد أن القارة على سعتها قلت نسبة انتاجها الصناعي عن ١٪ من الانتاج العالمى •

وكانت معظم ميزانية الدولة فى المستعمرات تستخدم لتعزيز مركز الغزاة ، فكانت الطرق والجسور والموانى تبني تيسيرا لاستغلال المستعمرات وكان النظام الضريبى مسخرا لخدمة هذا الغرض نفسه •

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى استنزف المستعمرون موارد افريقيا من القوى البشرية والمادية فدفعوا كثيرا من الافريقيين الى خط النار ، وحسبك أن تعلم أن فرنسا وحدها جندت ٨٤٥٫٠٠٠ مقاتل من الجزائر •

وعلى الرغم من بطء التنمية الاقتصادية ، فقد بنيت مصانع وطرق جديدة ، وتكونت بالتدريج طبقة عاملة من الافريقيين ، ورفعت طبقة العمال صوتها لأول مرة

فى مطلع القرن العشرين ، فقامت بأول اضراب فى مدينة فريتون بسيراليون فى وقت مبكر يرجع الى سنة ١٨٧٤ . وفى سنة ١٨٨٢ أضرب مائة افريقى عن العمل فى مناجم كمبرلى لمدة يومين احتجاجا على تخفيض الأجور . وفى سنة ١٩٠٣ قام بحارة ليبريا باضراب استمر أربعة شهور . وفى سنة ١٩١٥ دعا العمال الى اضراب كبير فى حقول الذهب فى هندا بجنوب افريقيا . وقام العمال بحركات فى مصر والجزائر وساهمت طبقة العمال فى حركة التحرير الوطنى . وفى سنة ١٩١٧ دعا عمال جنوب افريقيا الى عقد أول مؤتمر لهم ، فعقد المؤتمر فى مدينة جوهانسبرج ، ووضع الأساس لتكوين رابطة عمال الصناعة . ولم يلبث العمال الأوربيون والافريقيون أن وطدوا أواصر التعاون بينهم ، وبدا واضحا أن العمال الافريقيين قد دخلوا ميدان الحياة السياسية .

أفريقيا من الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الأولى وافريقيا

لقد زج الاستعمار الشعوب الافريقية فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ والتهم جهود الشعوب الافريقية كما التهم ثروتها القومية ، فجند أكثر من مليون افريقى فى جيوش فرنسا وبريطانيا وايطاليا وألمانيا ثم نقل ميدان الحرب الى بعض ربوع افريقيا نفسها •

وفى تلك المدة كان الاستعماريون لا يزالون قادرين على اعادة تغيير خريطة افريقيا دون نظر الى ارادة شعوبها، فقد أدت هزيمة ألمانيا وحلفائها الى حرمان الألمان من مستعمراتهم ، ولكن شعوب هذه المستعمرات لم تنعم بنور الحرية ، وأصبحت هذه المستعمرات من الناحية الرسمية أقاليم خاضعة للدول المنتدبة من قبل عصبة الأمم ، ولكنها فى الواقع وزعت على بريطانيا (افريقيا الشرقية الألمانية سابقا وجزء من توجو والكاميرون) وفرنسا (جزء من توجو والكاميرون) وبلجيكا (رواندا - أورندى) واتحاد جنوب افريقيا (افريقيا الجنوبية الغربية) والبرتغال •

وقد ازداد استغلال الشعوب الافريقية خلال الحرب العالمية الأولى ، فانتشرت السخرة ، وارتفعت الضرائب، وزاد استخدام رجال الشرطة والقوات المسلحة في اخماد الثورات . ونشبت خلال ١٩١٤ـ١٨ ثورات وقلاقل في الجزائـر ومراكش وتونس وليبيـا وشرق السـودان والمستعمرات التابعة للألمان . بيد أن الافريقيين اكتسبوا خبرة عسكرية من الخدمة في الجيوش الاستعمارية ، وازداد عدد المهاجرين من القرى الى المدن في غضون سنى الحرب ، واتصل الافريقيون من مختلف البـلاد بعضهم ببعض ، وكذلك توطدت الصلات بين الافريقيين والطوائف التقدمية فيما يسمى بالبلاد الأم ، ثم ان الثورة فى روسيا والأحداث الثورية المدوية فى البلاد الأخرى أيقظت فى نفوس الافريقيين روح الأمل فى نجـاح نضالهم ضـد الاستعماريين .

ظهور الشعور القومي في افريقيا

اشتعلت نار السخط على الاستعمار فى نهاية الحرب، وظلت تزداد اشتعالا بعد ما وضعت الحرب أوزارها . ذلك أن طرد الفلاحين الافريقيين من الأرض التي ظلوا يزرعونها أحقابا طوالا أثار حفيظتهم وغضبهم ثـم ان سياسة الضرائب الاستعمارية أثارت معارضة متزايدة من كافة طبقات الشعب باستثناء حفنة صغيرة من الاقطاعيين

وعملاء الاستعمار من الافريقيين . وزادت حدة المتناقضات بين الاحتكارات التى تعمل فى المستعمرات وبين التجار الافريقيين فى الفترة ما بين الحربين . وكذلك ازدادت النقمة على المتناقضات بين السلطات الاستعمارية والفلاحين الافريقيين الذين طالبوا بزراعة الغلات التى تجلب لهم ربحا أكبر . وأصرت البورجوازية الافريقية الناشئة على مطالبها بشأن تنمية الاقتصاد الوطنى (طالبوا بمنح قروض للافريقيين وتأسيس بنوك افريقية وهكذا) وازداد السخط على سوء حالة التعليم العام فى المستعمرات ، وقلة الخدمات الصحية ، وعدم المساواة فى الحقوق السياسية .

وازداد عدد الافريقيين ولاسيما الموظفين والمثقفين الذين طالبوا بمزيد من الاشتراك فى ادارة البلاد ، وأفرقة الجهاز الحكومي ، وعودة جميع الحقوق التى سلبها منهم الاستعمار . وأخذت الشعوب الافريقية وبخاصة زعماؤها تدرك أن لا سبيل الى حل هذه المشكلات الا باستيلاء الافريقيين على مقاليد الحكم فى البلاد ، وتأصلت جذور هذه الفكرة فى أذهان الجماهير .

وسددت ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى ضربة قاصمة الى الاستعمار العالمى ، اذ أدت الى ابراز أول دولة للعمال والفلاحين الى حيز الوجود ، فرأت شعوب العالم المظلومة

أن الاستعمار ليس بقادر على كل شيء ، وأنه :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر

فقد أظهرت الثورة الروسية أن نظام الاستعمار كله قد أصبح ضعيفا كبيت العنكبوت ، وبالتالى مهدت الطريق للكفاح من أجل الحرية فى المستعمرات .

وكان لثورة أكتوبر أثر كبير فى افريقيا ، فأحرزت الخطوات الأولى التى اتخذتها الحكومة السوفيتية تأييدا أدبيا لروسيا ولشعارات الثورة ، وكانت الثورة على الاستعمار فى مصر ، وحركة الاضراب الكبرى فى جنوب افريقيا فى ١٩١٨ — ٢٠ وانعقاد مؤتمر الجامعة الافريقية الأول فى سنة ١٩١٩ ، وتأسيس المؤتمر الوطنى فى افريقيا الغربية البريطانية سنة ١٩٢٠ ، وثورة داهومى سنة ١٩٢٣ ، وحركة الاحتجاج فى كينيا سنة ١٩٢١ ، وغير ذلك من الأحداث — كل أولئك كان صدى لثورة أكتوبر .

وفى ذلك يقول موديبوكيتا : « ان ثورة أكتوبر الكبرى سنة ١٩١٧ جاءت بحل لمشكلة مستقبل افريقيا .. يجب علينا أن نعترف أن الشعب السوفيتى أبان لشعوب

المستعمرات الطريق الى الحرية » وما ان انتهت الثورة حتى أخذت روسيا السوفيتية تزيد من تأييدها لكافة الأمم المكافحة فى سبيل تحررها الوطنى ٠

ان مؤتمر الجامعة الافريقية ١٩١٩ (باريس) ، ١٩٢١ (لندن وبروكسل) ، ١٩٢٣ (لشبونه ولندن) ، ١٩٢٧ (نيويورك) الذى تم تنظيمه وعقده بناء على اقتراح دكتور وليم دى بوا كان له شأن كبير فى ايقاظ افريقيا سياسيا وتوحيد قواها التقدمية ، ومساعدتها على الاتصال بالرأى العام العالمى ٠ وقد طالب المجتمعون فى المؤتمر الأول بكافة الحقوق السياسية للافريقيين ٠ صحيح أن الفوز بهذه الحقوق فى تلك الأيام كان يبدو أملا بعيدا ، ولكن هذه المؤتمرات مكنت ممثلى البلاد الافريقية على اختلافها من أن يجتمعوا ويناقشوا الوضع فى بلادهم ويبحثوا واجباتهم فى مكافحة الاستعمار ٠ وانصافا للتاريخ يجب علينا أن ننوه أن التمثيل فى هذه المؤتمرات كان ضعيفا ، اذ كان معظم الممثلين للشعوب الافريقية من الطلبة الافريقيين فى أوربا أو الولايات المتحدة ومن المهاجرين الافريقيين ، وسبب آخر أن حركة التحرير الوطنى لم تكن قد وصلت الى المستوى الشعبى ، فالمنظمات الوطنية فى افريقيا اقتصرت على المطالبة بالاصلاح لا الاستقلال ٠ ومع ذلك فان حركة الجامعة الافريقية فى تلك السنوات

قامت بدور هام ألا وهو لفت أنظار العالم الى مشكلات افريقيا • يضاف الى ذلك أن هذه الحركة تمخضت عن مولد الزعماء الافريقيين أمثال كوامى نكروما وجومو كينياتا وازيكيوى ، وأن المؤتمرات عززت روح التضامن الافريقى •

وأخذت حركة التحرير الوطنى تسير بالتدريج فى طريق التنظيم المحكم الدقيق ، فظهرت المنظمات السياسية الأولى التى كان لبعضها أتباع يعدون بعشرات بل بمئات الألوف • خذ مثلا لذلك ما حدث فى كينيا :

عقد اجتماع شعبى حافل فى داجوريتى فى ٢٤ يونية ١٩٢١ ، تمخض عن انشاء جمعية كيكويو الفتاة التى كانت أول منظمة سياسية كبيرة فى افريقيا • ثم أطلق عليها فيما بعد اسم جمعية افريقيا الشرقية برئاسة هارى توكو. وقد أيدت هذه الجمعية حقوق السكان الوطنيين • ومع أن هذه الجمعية لم تتجاوز نطاق الكفاح السلمى والدعاية ، فان المستعمرين قبضوا على زعمائها فى مارس ١٩٢٣، وأطلقوا النار على الافريقيين الذين قاموا بمظاهرة احتجاج ، فسقط العشرات من القتلى والجرحى • ومع ذلك ظهرت على المسرح السياسى فى سنة ١٩٢٥ منظمة سياسية جديدة تدعى جمعية كيكويو المركزية ، وكان جومو كينياتا من أبرز زعمائها • وظلت هذه الجمعية

قائمة حتى سنة ١٩٤٠ حين أعلن الاستعماريون الأحكام العرفية أيام الحرب وحظروا نشاطها بل حلوها فعلا . وهـــذا يدل على أن المستعمرين أخذوا يلاقون مقاومة متزايده ومنظمة فى وقت واحد .

وفى الفترة ما بين الحربين العالميتين ظهرت حركات دينية فعبرت كذلك عن سخط الشعوب الافريقية . وكان كثير من هذه الحركات يناهض الاســتعمار ، كما كان يهـدف الى تمتع الكنائس الافريقية بالاستقلال . منها الحركة الاسرائيلية بزعامة اينوخ مجيجيما فى جنـوب افريقيا (لاسيما فى ١٩٤١) وحركة بزعامة موانا ليسا فى شمال روديسيا (١٩٢٠ـ٢٢) والحركة الكيبانجيه ، وحركة البعثة السوداء وكيتا والا فى الكونغو البلجيكى (فى العقدين الثالث والخامس من القرن العشرين) وحركة تدعو الى انشاء كنيسة معمدانية افريقية فى الكاميرون. وكان بعض هذه الحركات يلقى تأييدا شعبيا ، وبذلك سددت ضربات قوية الى الاستعماريين . وكان هذا التأييد من جانب الفلاحين والبورجوازية الصغيرة بصفة خاصة.

نمو حركة الطبقة العاملة

قامت الطبقة العاملة بدور كبير فى الكفاح من أجل التحرر الوطنى فى افريقيا ، وكان نشاطها موجها دائما الى مناوأة المستعمرين ، وساعد هذا النشاط على جذب

طوائف كبيرة من السكان الى الاشتراك فى هذا الكفاح ٠
وقد قاوم العمال كافة ضروب الاضطهاد والارهاب واذلال الكرامة الشخصية والوطنية ٠

وازداد نشاط الطبقة العاملة بصورة مطردة وزاد عدد العمال القائمين بهذا النشاط ، ونشأت نقابات العمال ومنظمات العمال السياسية فى خلال هذا الكفاح ٠ وفى سنة ١٩١٩ قام عمال السكك الحديدية باضراب فى سيراليون ، وفى ١٩١٩ ــ ٢٠ نظم العمال ولا سيما عمال الموانىء والسكك الحديدية سلسلة من الاضرابات فى جنوب افريقيا ٠

وفى سنة ١٩٢١ أعلن عمال نيجيريا الاضراب ، وفى ١٩٢١ ــ ٢٢ قام عمال كينيا بدور فعال فى الحركة التى تقودها جمعية كيكويو الفتاة ، وفى ١٩٢٥ قام عمال السكك الحديدية فى نيجيريا بالاضراب عن العمل ؛ وفى سنة ١٩٢٨ اشتعلت الثورة التى عمت كثيرا من أقاليم افريقيا الاستوائية الفرنسية بين بناة الخط الحديدى برازافيل ــ بوانت ــ نوار ٠ ونشأت حركة قوية مناوئة للاستعمار فى أنجولا فى ١٩٢٨ ــ ٣٠ دعا اليها عمال الموانىء الذين نظموا اضرابا عاما ٠ وفى غمبيا قام البحارة فى ١٩٢٩ باضراب استمر ٦٢ يوما أيده اضراب عام لمدة عشرين يوما ، وفى ١٩٣٠ قام عمال المناجم باضراب فى ساحل

العاج ثم فى شمال روديسيا بعد خمسة أعوام . وشملت الاضرابات العامة الحياة فى منبسة وتانجا فى سنة ١٩٣٩ وقد قام الاستعماريون بسحق معظم هذه الحركات ولكن كفاح العمال تكلل بالنجاح فى بعض الأحيان ، ففى غمبيا — مثلا — اضطرت السلطات أن ترفع أجور العمال وتعترف بحقهم فى الاضراب وتكوين نقابات العمال .

على أنه يمكن انقول بوجه عام أن حركة العمال الافريقيين فى تلك السنين كانت فى مرحلة التنظيم ، ولذلك فان نجاحها لم يسدد ضربات حاسمة الى سيطرة المستعمرين والاحتكارات الأجنبية .

وقد حظر نشاط المنظمات العمالية فى معظم البلاد الافريقية فى الفترة ما بين الحربين العالميتين ، واذا ما سمحت السلطات بقيام نقابات العمال أو بوجودها بصورة شبه قانونية (سيراليون ، ساحل الذهب ، غمبيا ، نيجيريا وفى المستعمرات الفرنسية فى عهد الجبهة الشعبية فى فرنسا) كانت هذه النقابات عرضة للارهاب والاضطهاد ، اذ كان المستعمرون يسعون الى تقويض المنظمات العمالية من الداخل ، واضطهاد زعماء نقابات العمال ومحرضيهم ، والقائهم فى السجون ، ووضعهم فى القائمة السوداء ، ومحاولة استمالة الكثير منهم عن طريق الرشوة .

واتخذ الاستعماريون اجراءات عنيفة لمنع انتشار مبادىء الاشتراكية العلمية والشيوعية فى افريقيا ، واضطهدوا الرعيل الأول من الاشتراكيين والشيوعيين بقسوة • وتأسست الأحزاب الشيوعية فى البلاد التى بلغت فيها حركة العمال أشدها ، فتأسس الحزب الشيوعي فى جنوب افريقيا ــ وهو أول حزب شيوعى فى القارة ــ فى مدينة الرأس فى ٢٩ يولية ، ١٩٢٩، وتأسس الفرع الجزائرى للحزب الشيوعى الفرنسى فى سنة ١٩٢٠ ؛ وفى سنة ١٩٣٦ أصبح اسمه « الحزب الشيوعى الجزائرى المستقل » • ونشأت المنظمات الشيوعية أثناء العشرينيات فى تونس ومراكش ثم أعادت تنظيمها فى شكل أحزاب مستقلة فى سنة ١٩٣٧ و١٩٤٣ على التوالى • وتكونت فى مصر منظمات شيوعية أيضا •

وقد كافح الشيوعيون الافريقيون ــ جنبا الى جنب مع الافريقيين التقدميين ــ كفاحا شديدا ضد التفرقة العنصرية وضد الرجعيين وضد تهديد الفاشية التى تجلى خطرها بصفة خاصة عشية الحرب العالمية الثانية ، اذ كان الفاشيون فى ألمانيا وايطاليا واسبانيا وكذلك عملاء الفاشية من طراز فيرفورد يدعون الى العنصرية الفاشية ، وكراهية الجنس البشرى •

الحركات المناوئة للاستعمار فى الفترة بين الحربين

تلقى الاستعماريون أقوى الضربات فى افريقيا عندما

هبت أمم بأسرها للنضال . وكانت حركات شعوب شمال افريقيا هي أقوى الحركات وأشدها تنظيما فى الفترة بين الحربين .

وقد أعلنت انجلترا فى سنة ١٩١٤ وضع مصر تحت الحماية البريطانية ، على أثر نشوب الحرب العالمية الأولى ، واستولى المستعمرون الانجليز على المراكز الهامة فى البلاد فأثاروا بذلك سخط الشعب . وبعد نشوب ثورة أكتوبر فى روسيا أخذ السخط فى مصر يتطور الى ثورة ، فقام الشعب يطالب بالاستقلال التام . وفى مارس ١٩١٩ استفز الانجليز شعور المصريين، فقامت مظاهرات واضرابات فى القاهرة ، وأطلق الشرطة والجنود النار على الشعب فكان ذلك نذيرا باشتعال الثورة فى جميع أنحاء البلاد . فتشكلت لجان وطنية فى بعض المدن والأقاليم، وبدأ نجاح الثورة ظاهرا للعيان، ولكن اشتراك العمال والفلاحين أخاف البورجوازية المصرية فرفضت أن تقود الكفاء المسلح ، مما أتاح الفرصة أمام المستعمرين لاعادة تنظيم قواتهم والقيام بهجوم مضاد ، فاستولوا فى أوائل أبريل ١٩١٩ على مراكز الثورة الرئيسية ، ولكن القتال استمر فى أنحاء متفرقة مدة طويلة .

ودخل المستعمرون فى مفاوضات مع المصريين لعقد

معاهدة انجليــزية مصرية تعترف بســيادة مصر رسميا، ولكنها تضمن « حقوقا خاصة » لانجلتــرا فى مصر . بيد أن هذه المفاوضات أخفقت ، لمطالبة الشعب بالاستقلال، وقامت حملة جديدة ضد الاستعمار ، وسرعان ما تطورت الى ثورة أخرى ، فتصدت القوات البريطانية للمتظاهرين في الاسكندرية وطنطا فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ وفى اليوم التالى مباشرة عم الاضراب جميع المدن الكبــرى فى حين نشب القتال فى بعضها . وتمكن الانجلــيز من اخماد الثورة فى خلال أســبوع ، وكانت القوات البريطانية تؤيدها الطائرات والدبابات .

بيد أن مركز انجلتــرا ظل محفوفا بالخطــر ، فأعلن الشعب مقاطعة البضائع الانجليزية واضطر الانجليــز الى الاعتراف باستقلال مصر على الرغم من سحق الثورة وفى ٢٨ فبــراير سنة ١٩٢٢ ألغت بريطانيا الحمــاية واعترفت باستقلال مصر رسميا .

ولكن الانجليز لم تكن لديهم أية نية للتخلى عن مركزهم فى مصر . وأخيرا نجحت محاولاتهم لفرض معاهدة غــير متكافئة على مصر فى ٢٦ يوليه ١٩٣٦ تضمن لهم «حقوقا خاصة » وتم التوقيع عليها فى لندن . وسمحت المعاهدة لانجلترا باحتلال قناة السويس وبعض المواقع الأخرى فى مصر ، وأشرف الانجليز على سياسة مصر الخارجية .

وكان الغاء هذه المعاهدة من أهم أهداف الكفاح الذى قام به الشعب المصرى ٠

وفى الفترة بين الحربين العالميتين وضعت حركة التحرير الوطنى الاستعماريين فى مركز حرج أكثر من مرة ، وخير مثل لذلك جمهورية الريف فى المغرب ٠ وايضاح ذلك أن فرنسا أعلنت حمايتها على مراكش فى سنة ١٩١٢ ولكن اسبانيا ضمت اليها جزءا من هذه البلاد ٠ ومع ذلك فان فرنسا واسبانيا لم تستطيعا الا احتلال الجزء غير الجبلى من البلاد وذلك بفضل المقاومة التى أبداها الشعب المراكشى عشية الحرب العالمية الأولى ٠ وفى أثناء الحرب ضاقت منطقة الاحتلال ولم يستطع الاستعماريون الفرنسيون والاسبانيون أن يتوسعوا من جديد فى مراكش الا بعد الحرب ٠

وكان الاسبان يهتمون بصفة خاصة باقليم الريف الجبلى أو بثروته المعدنية بعبارة أدق ، فأرسلوا الى ذلك الاقليم جيشا يتألف من ٢٠٫٠٠٠ مقاتل ولكن قبائل البربر انقضت على هذا الجيش فشتتت شمله فى يولية ١٩٢١ ، فأدى هـــذا النصر الى اعلان جمهورية الريف برياسة الأمير عبد الكريم ٠ ثم دحر البربر بعد ذلك جيشا اسبانيا يتألف من ١٠٠٫٠٠٠ مقاتل ، وحرروا سائر المنطقة « الاسبانية » من مراكش ٠ وكانت انتصارات

الريف حافزا قويا لحركة التحرير الوطنى فى شمال افريقيا كما هددت الفتوحات الفرنسية ٠

وبادر الاستعماريون الفرنسيون الى نجدة حلفائهم الاسبان ٠ ولكن القوات الفرنسية منيت بالهزيمة فى مايو ـ يونية ١٩٢٥ وأحدق البربر بالقواعد الفرنسية الرئيسية ٠

وهذا دفع الفرنسيس والاسبان الى عقد حلف عسكرى، فجهز الفرنسيون فى يولية ١٩٢٥ جيشا يتألف من ٢٠٠ر٠٠٠ مقاتل لمناجزة البربر ، وكان الجيش مسلحا بأحدث الأسلحة من طائرات ومدفعية ثقيلة ودبابات ، وحاصر الأسطول الفرنسى الاسبانى الساحل ٠ وفى نهاية أغسطس اخترقت القوات الفرنسية خطوط البربر ، واتصلت القوات الفرنسية بالقوات الاسبانية وواصل البربر كفاحهم الباسل تسعة شهور أخرى ولم يستسلم عبد الكريم الا فى مايو ١٩٢٦ وانتقم العدو لنفسه شر انتقام وظلت العمليات الحربية مستمرة حتى سنة ١٩٣٢ فى جبال أطلس الكبرى والوسطى والداخلية ، وفى هضاب مراكش الجنوبية الشرقية ٠

وفى سنة ١٩١٢ استولت ايطاليا على طرابلس وبرقة بعد محاربة تركيا ولكن فتح ليبيا كان أشق على ايطاليا من هزيمة تركيا ، وفى أثناء الحرب العالمية الأولى واجه

الايطاليون حركة قوية ضد الاستعمار فى ليبيا فاضطروا
الى سحب قواتهم من داخل البلاد وتركيزها فى أربع مدن
ساحلية فقط ، واضطرت ايطاليا بعد الحرب الى الاعتراف
بسلطة الاقطاعيين فى داخل ليبيا • وظن الاستعماريون
أن المعاهدات التى قضت بهذا الاعتراف سوف تصرف
الليبيين عن مراعاة اليقظة والحذر وبذلك يجد الايطاليون
فرصة لجلب القوات العسكرية ، فجددوا الحرب سنة
١٩٢٢ ، وتناسوا جميع تعهداتهم واستمرت الحرب عشر
سنوات هلك فى أثنائها مايقرب من نصف سكان البلاد •
وفى سنة ١٩٢٣ ضمت ايطاليا ليبيا الى التاج الايطالى •

وسار الاستعمار الى آخر الشوط حتى استولى على
آخر الدول الافريقية المستقلة في افريقيا ، فوقعت
الحبشة فريسة للفاشية الايطالية سنة ١٩٣٥ ، وكان
الاتحاد السوفيتى هو الدولة الوحيدة التى أيدت الحبشة
فى عصبة الأمم ، فطالب باستنكار هذا العمل العدوانى
وفرض عقوبات صارمة على المعتدى • ولكن الاستعماريين
من رجال الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا وألمانيا
شجعوا العدوان الايطالى • وفى مايو ١٩٣٦ استولت
ايطاليا على الحبشة ولكنها عجزت عن هزيمة الشعب
الذى واصل الكفاح المسلح •

ومن ذلك يتضح أنه على الرغم من كفاح الشعوب

الافريقية الباسلة لم يبق فى افريقيا عشية الحرب العالمية الثانية سوى دولتين ـ مصر وليبريا ـ احتفظتا باستقلالهما الرسمى • ولكن معاهدة ١٩٣٦ جعلت مصر معتمدة كل الاعتماد على بريطانيا فى حين أن ليبريا لم تكن فى الواقع سوى شبه مستعمرة للولايات المتحدة •

الاستغلال الاستعمارى فى افريقيا ١٩١٩ ـ ٣٨

كيف ناوأ الاستعماريون حركة التحرير الوطنى ؟ بالقوة قبل كل شىء ! لقد استعانوا بقواتهم ورجال الجندرمة والشرطة وادارتهم الاستعمارية ورجال الاقطاع ورؤساء القبائل الذين ظاهروهم • وعلى الرغم من اختلاف أساليب الحكم والادارة فان النظم الاستعمارية التى أقامتها بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا والبرتغال كانت تهدف الى امتصاص أقصى الأرباح من المستعمرات، والحصول على المزايا الاستراتيجية والسياسية التى تساعدها فى الكفاح ضد منافسيها من الدول الاستعمارية الأخرى •

خذ مثلا السياسة التى اتبعتها بريطانيا وفرنسا فى غرب افريقيا • لقد سارت بريطانيا على نظام الحكم غير المباشر • وبعبارة أخرى أبقت على نظم الادارة والحكم القبائلية القديمة ، فمنحت الملوك الافريقيين (كما فعلت بلجيكا فى رواندا وبورندى) مظهرا خارجيا من سمات

الدولة مثل الجهاز الادارى، والمحاكم والشرطة والميزانية. أما فى الواقع فلم يكن هؤلاء الملوك سوى صنائع للبريطانيين ينفذون أوامر الاستعماريين ، واذا ما عصوا أوامرهم هددوا بالانتقام أو العزل أو النفى أو السجن . وقد مكن هذا النظام بريطانيا من تخفيض نفقات الادارة الاستعمارية وساعدها على استعباد شعوب المستعمرات، لأنه اذ جعلها تحتفظ بمظهر الحكم الذاتى سمح لها بالقضاء على التمرد والعصيان بأيدى الافريقيين أنفسهم.

أما الفرنسيون فقد ساروا على نظام الحكم المباشر فى غرب افريقيا وعلة ذلك أنهم فتحوا المستعمرات بقوة السلاح ، فقضوا على جهاز الحكم القديم ، وأبادوا جميع الطبقة الاقطاعية العليا تقريبا . واتبع الفرنسيون سياسة التفرقة بين الفرنسيين والسكان المحليين ولكنهم رغبة فى استمالة الطبقة الغنية والمثقفة الى جانبهم أصدروا قانونا سنة ١٩١٢ سمح لطائفة معينة من الافريقيين أن يكتسبوا حقوق الرعوية الفرنسية . وفى نهاية الحرب العالمية الأولى وصل عدد هؤلاء المتجنسين بالجنسية الفرنسية فى غرب افريقيا الى ٢٤ر٩٩٧ شخص منهم ٢٢ر٧١١ فى أربع كومونات فى السنغال (دكار ، سينت لوى ، روفسك ، جوريه) وفى ١٩٣٦ ارتفع هذا العدد الى ٧٨ر٣٧٣ فى السنغال والى ٢ر١٣٦ فى غيرها ،

واستخدم الفرنسيون كثيرا من الافريقيين في المناصب الادارية الصغيرة وكثيرا ما استخدموا الرؤساء المحليين. هذان النظامان يتفقان في الجوهر وان اختلفا في المظهر، ذلك أنهما يخدمان غرضا واحدا هو تدعيم الحكم الاستعماري.

وتحقيقا لهذا الغرض عمد الاستعماريون الى حرمان شعوب المستعمرات من كافة الحقوق السياسية، فجعلوا السلطة التشريعية العليا والسلطة الادارية في المستعمرات في أيدي الحكام أو النواب الخصوصيين الذين تعينهم الحكومة في العاصمة. وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يتمتع بالنظم النيابية سوى قليل من المستعمرات.

ولم يهتم المستعمرون كثيرا حتى نشوب الحرب العالمية الثانية باستغلال المعادن والكشف عنها في افريقيا كما اهتموا في آسيا مثلا، اذ آثروا أن يستغلوا جهود الأهالي الافريقيين من الفلاحين. وحيثما كان المناخ صالحا لسكنى الأوربيين كما هو الحال في شرق افريقيا مثلا عمد الاستعماريون الى سلب الأراضي بلا رحمة من السكان المحليين، ففي كينيا استولت بريطانيا على أكثر من ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان من أجود الأراضي خلال المدة التي امتدت الى نشوب الحرب العالمية الثانية، فطردت السكان

المحليين وأنشأت ما يسمى بالهضبة البيضاء •

وأخذ الرأسماليون فى استغلال البلاد الواقعة فى شرق افريقيا بلا شفقة ولا رحمة ، فحولوها الى مصادر للمواد الخام ، وأرغموا السكان على زراعة غلات لم يزرعوها من قبل مثل البن والفول السودانى والشاى والقطن والسيسال ونباتات المطاط وغيرها • وأرغموا أهالى كينيا ـ كما سبق أن ذكرنا ـ على الاقامة فى أماكن جديدة وحولوا أراضيهم الى مزارع كبيرة • وفى أوغندا استخدم الاستعماريون الضغط الاقتصادى والادارى لارغام السكان على زراعة مختلف المحاصيل بقصد تصديرها الى الخارج • وفى تنجانيقا جمعوا بين هاتين الطريقتين فى تخصيص الانتاج الزراعى للتصدير •

وظلت الثروه الطبيعية فى افريقيا حتى الحرب العالمية الثانية ـ باستثناء بعض الأقاليم المتفرقة وبعض أنواع المواد الخام ـ مطمورة لم يكشف عنها الغطاء دون أن يهتم أحد بتنميتها الا قليلا • وليس أدل على ذلك من تلك الحقيقة الواحده وهى أن افريقيا حتى أواسط الثلاثينيات عندما كانت تضم ٨٪ من سكان العالم ، وتبلغ مساحتها ٢١٪ من مساحة الكرة الأرضية لم تنتج سوى ٣ر١٪ من المواد الخام فى العالم •

وقد سعى الاستعماريون الى استغلال وتدعيم التبعية

الاقتصادية لمستعمراتهم فقصروها على انتاج محصول واحد واستخدموا رأس المال أساسا فى تيسير تصدير المعادن والمواد الخام الزراعية وكذلك غلات المناطق المدارية من افريقيا . واستولى رأس المال الأجنبى على جميع المراكز الرئيسية وتحكم فى جميع كنوز الذهب والعملة .

وسارت « التنمية » في المستعمرات على أساس الابقاء على التخلف والأمية ، وبث مركب النقص فى نفوس الإفريقيين ، والاستسلام للقدر ، وعبادة الجنس الأبيض .

واتبع الاستعماريون — حيثما أمكنهم ذلك — سياسة « فرق تسد » فأثاروا روح العداوه والبغضاء بين القبائل والسلالات المختلفة .

ولقد شهدت الفترة بين الحربين العالميتين زيادة حدة المتناقضات بين الامبريالية والاستعمار من جهة ، والشعوب الافريقية من جهة أخرى . فالشعور الوطنى بين الشعوب الافريقية نما بطريق الطفرة وانضمت بالتدريج طوائف كبيرة من الفلاحين — وهم أكبر الطبقات عددا فى افريقيا — الى النضال ضد الاستعمار ، وتبعتهم البورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية الناهضة ثم الطبقة التي كانت اذ ذاك صغيرة العدد ولكنها كثيرة النشاط ألا وهى طبقة المثقفين الافريقيين ورجال الجيش .

وكانت البورجوازية الوطنية والمثقفون ورجال الجيش هم الذين يقودون حركة التحرير الوطنى فى كثير من الحالات وشاركت طبقة العمال فى تلك السنين كذلك فى النضال العام من أجل التحرير الوطنى ٠

الباب الخامس

كفاح الشعوب الأفريقية فى سبيل التحرير ونشأة الدول الأفريقية

الحرب العالمية الثانية وافريقيا :

لقد اشتركت جميع الدول الافريقية فى الحرب العالمية الثانية بوجه من الوجوه .

وكانت افريقيا مصدرا كبيرا للموارد الحربية والغذائية كما كان الحال فى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ولكنها ـ على عكس الحال فى الحرب العالمية الأولى ـ قامت بدور أكبر فى امداد الحلفاء بالقوى البشرية ، فاشترك عدة ملايين من الافريقيين فى القوات المسلحة وانخرطوا فيها رجالا مقاتلين ، وعادت الأراضى الافريقية فأصبحت مسرحا للعمليات الحربية .

وقد ساعدت المواد الحربية والغذائية التى قدمتها الدول الافريقية فى احراز الانتصار على الدول الفاشية ،

ففى سنة ١٩٣٨ أنتجت افريقيا ٨ر٩٧٪ من الماس فى العالم ، ٥ر٤٥٪ من الذهب ، ٧٥٪ من الكوبالت ، ٦ر٣٧٪ من المنغنيز ، ٤٠٪ من الكروم ، ٣ر٣٣٪ من الفنديوم ، ٣ر٢١٪ من النحاس ، ٥ر١٢٪ من القصدير (١) .

ولقد عادت المواد الحربية والغذائية المقدمة من افريقيا بفائدة كبيرة على بريطانيا خاصة ، اذ حصلت بريطانيا من مستعمراتها الافريقية فى أثناء الحرب على أكثر من ٨٠٪ مما يلزمها من البوكسيت وما يقرب من ٨٧٪ مما يلزمها من المطاط ونحو ٨٠٪ مما يلزمها من الحديد الخام وأكثر من ٧٥٪ مما يلزمها من التنجستين (فولاذ ولفرام) وهذا قليل من كثير . وقد اعترف لورد سالسبورى من رجال المستعمرات البارزين فيما بعد قائلا : « لقد كان وجود امبراطوريتنا الاستعمارية الافريقية والمواد الأساسية التى أمكننا الحصول عليها منها ... كان ذلك وحده هو الذى أنقذنا من الهزيمة » (٢) .

---

(١) ا. شبيرت « افريقيا فى الحرب العالمية الثانية »
(٢) المصدر نفسه ص ٢٥

وكانت افريقيا القاعده الرئيسية « لفرنسا الحره » وكذلك أولت الولايات المتحدة اهتماما كبيرا للمواد الافريقية لاسيما اليورانيوم من الكونغو البلچيكى ٠

وفضلا عن ذلك كانت المستعمرات مصدرا للذهب والعملة الأجنبية وكان هذا ذا أهمية كبيرة لبريطانيا وفرنسا وبلجيكا ٠ مثال ذلك أن حكومة بلجيكا اللاجئة غطت ٨٥٪ من نفقاتها بالعملة التى تلقتها من الكونغو » (١) ٠

وبعد أن هزمت فرنسا فى صيف ١٩٤٠ لم تجد حركة فرنسا الحرة ملجأ لها الا افريقيا ٠ وفى أوائل ١٩٤١ اعترفت سائر افريقيا الاستوائية الفرنسية والكاميرون باللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى ٠ وفى ٢ نوفمبر ١٩٤١ أرسل بوسون الحاكم العام لافريقيا الغربية الفرنسية رسالة سرية للجنرال بتان يخبره فيها أنه لا يستطيع تنفيذ أوامره لأن الأهالى يكرهون ألمانيا النازية وحلفاءها ٠ وفى فبراير ١٩٤٢ وجه الحزب الشيوعى فى الجزائر نداء الى الشعب يناشده فيه أن يبذل كل ما فى وسعه للحيلولة دون استخدام موارد افريقيا الشمالية فى مصلحة ألمانيا النازية ٠ وفى سبتمبر من نفس العام أهاب بالشعب أن يحارب النازى وحكومة فيشى ٠ وقد

---

(١) « كم كلف الكونغو بلچيكا ؟ » بقلم چ ستنجرز ، بروكسل ١٩٥٧ ، ص ١٠

وحد الكفاح ضد الفاشية جميع القوى التقدمية في الشعوب الافريقية وساعد على تنمية وعيها السياسى • وفى ١٥ مايو ١٩٤٤ عقدت الأحزاب الشيوعية فى الجزائر وتونس ومراكش مؤتمرا مشتركا أصدر قرارا بتعبئة شعوب المغرب للنضال فى سبيل تحطيم الفاشية •

وكل انسان يعلم اسهام الوحدات العسكرية الافريقية فى القتال الذى دار فوق الأرض الافريقية مباشرة ، فقد دارت فى افريقيا عمليات حربية فى بلاد متعدده • ففى شمال افريقيا بدأ القتال سنة ١٩٤٠ فى ليبيا، وفى سبتمبر من السنة نفسها أغارت القوات الايطالية على مصر ، ولكن قوات الحلفاء سحقتها فى سيدى برانى وطهرت مصر من العدو ، ثم تقدمت الى شرق ليبيا ودخلت بنى غازى فى فبراير ١٩٤١ وتقرر ايفاد الفيلد مارشال اروين روميل لمساعدة الايطاليين : فطرد البريطانيين من ليبيا فى مارس ـ أبريل ١٩٤١ ، ولكن البريطانيين قاموا بهجوم مضاد رد العدو الى ليبيا حتى وصل أجدابية والبردية • وفى يونية ١٩٤٢ قام روميل بهجوم مضاد حتى وصل الى مصر ، ولكنه انهزم قرب العلمين فى معركة استمرت من ٢٣ أكتوبر الى ٣ نوفمبر ١٩٤٢ ، وتم تطهير ليبيا كلها من قوات المحور فى أوائل ١٩٤٣

وفى نوفمبر ١٩٤٢ نزلت القوات البريطانية والأمريكية

فى مراكش والجزائر وبدأت العمليات الحربية التى ترتب عليها تحرير شمال افريقيا كله فى مايو ١٩٤٣ ؛ وفى ١٩٤٠ ـ ٤١ دار القتال فى الحبشة والصومال الانجليزى والايطالى وجزء من السودان الانجليزى المصرى وكينيا ، وتطهرت هذه الأقاليم أثناء هذا القتال من القوات الايطالية •

وقد قامت القوات الافريقية بدور كبير لا فى القتال ضد النازى فى افريقيا نفسها فحسب بل كذلك فى أوروبا الغربية والشرق الأدنى وبورما والملايو ، فكان يوجد ٢٦٠،٠٠٠ جندى افريقى من بين ٤٠٠،٠٠٠ مقاتل تتألف منهم قوات فرنسا الحره التى قاتلت فى فرنسا •

وأسهمت الشعوب الأفريقية بقسط كبير فى النضال ضد الغزاة الطليان والألمان • ويجب علينا أن ننوه بالحرب الوطنية التى شنها الشعب الاثيوبى على الايطاليين •

فقد ضرب الوطنيون الطرق وخطوط البرق وهاجموا الوحدات الايطالية وكانت فرقة وطنية تتألف من ١٥،٠٠٠ مقاتل بقيادة جفيريسو تعمل على بعد ٢٠ أو ٢٥ ميلاً فقط من أديس أبابا • والواقع أن الغزاة لم يستولوا الا على المدن الكبيرة ، والسكك الحديدية •

وكان انتصار الحلفاء فى افريقيا يرجع الفضل الأكبر

فيه الى كفاح الشعب السوفيتي الباسل الذى قيد حركات الجزء الرئيسى من القوات الايطالية والألمـانية ، ثم ان الانتصارات الكبـرى التى أحرزتها القـوات المسـلحة السوفيتية كفلت هزيمة النازى المعتدين ، وقررت مصير الحرب العالمية الثانية •

وفى أثناء الحرب لم يبخل حكام الدول الاستعمارية بالوعود المعسولة على الشعوب الافريقية ، ومع ذلك فان الاستعماريين أصروا على سياسة التفرقة العنصرية حتى فى ذلك الوقت الذى حارب فيه الجندى الافريقى كتفا الى كتف مع الجندى الانجليزى والجندى الفرنسى والجندى الأمريكى ، فمنعوا ترقيـة الجنـدى الافريقى الى رتبـة ضابط ، ولـم يسمحوا له باستخدام أحدث الأسلحة ، وظلوا يسخرون به ويحقرونه •

وبرغم ذلك كله تعلم الافريقيون الكثير خـلال الفترة التى خدموا فيها فى جيوش الدول الاستعمارية ، فقد وسعت الحرب أفق آرائهم السياسية ، وقوت عزمهم على النضال فى سبيل حقوقهم وكرامتهم ، وتوطدت صلاتهم مع العناصر الديمقراطية لا فى أوربا الغربية فحسب بل فى العالم كله أيضا • وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أسهم المحاربون القدماء بهمة ونشاط فى معركة التحرير الوطنى • ويقول كوامى نكروما بحق : « أن المحـاربين

القدماء الذين اشتركوا فى حرب ١٩٣٩ عادوا الى ساحل الذهب ناقمين على وضعهم بعد أن أتيحت لهم الفرصة لمقارنة حالهم بحال غيرهم من الشعوب وكانوا على استعداد لسلوك أى طريقة تؤدى الى تحسين وضعهم ، اذ كان السخط عاما على السياسة الاستعمارية البريطانية ولاسيما سياسة الحكم غير المباشر ... ثم ان الثورة الروسية ومعقباتها كان لها أثرها فقد نشرت فكرة التضامن بين العمال وحركة نقابات العمال وفكرة الحرية والاستقلال. وكذلك ساعدت الحوادث التى جرت فى آسيا على دعم النهضة السياسية » (١) :

وهذه الكلمات تنطبق على كثير من البلاد الأخرى فى افريقيا .

التغييرات الاجتماعية والسياسية فى افريقيا بعد الحرب :

لقد مهدت هزيمة ألمانيا النازية الطريق لانتصار الثورات الاشتراكية فى عدد من البلدان فى أوربا وآسيا، وأخذ النظام الاشتراكى العالمى يظهر ويزداد قوة باطراد، وقوى نجاح ثورات التحرير الوطنى فى افريقيا عزم الشعوب الافريقية على مواصلة النضال فى سبيل

---

(١) ا. شبيرت « افريقيا فى الحرب العالمية الثانية» موسكو ١٩٥٩ ، ص ٦٢-٦٣

استقلالها ، وانهارت مراكز الدول الاستعمارية في افريقيا وغمرت القارة بأسرها موجة عارمة من حركات التحرير الوطني •

وقد تغيرت الصورة في افريقيا ذاتها تغيرا جذريا ، فالحرب ومطالبها اقتضت سرعة تطوير بعض الصناعات ولا سيما صناعة التعدين ، وطما سيل القوى البشرية الوافدة الى المدن ، وأخذت الروابط المشاعية السابقة تتفكك بسرعة ، وازداد عدد العمال الذين يتقاضون أجرا ، وأخذت الطبقة العاملة تنمو وتقوى وظلت حال الفلاحين في تدهور ، فازداد سخطهم ، وتعذر على البورجوازية الصغيرة في المدن أن تنافس أصحاب الاحتكارات ، وأشرف الحرفيون وصغار التجار على الافلاس ، وعززت البورجوازية الوطنية الجديدة مركزها بعض الشيء ولكنها كانت محرومة من الحقوق السياسية فارتفعت أصوات الاحتجاج وازداد نشاط طبقة المثقفين الافريقيين القليلة العدد •

كل ذلك كان دليلا على حدوث تغييرات سياسية واجتماعية في افريقيا • ان الناس لم تعد ترغب في أن تعيش بأسلوبها القديم ، ولم تقنع بالاصلاحات النصفية ، ولذلك شعرت بعد الحرب أنه لا بد من ثوره للتحرير الوطني •

وتجلى نمو الوعى والنشاط السياسى فى تكوين الأحزاب والمنظمات السياسية التى انضمت الى حركة الكفاح ضد الاستعمار والامبريالية ، فتكون سنة ١٩٤٤ المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون ، وجمعية كينيا الافريقية (التى تغير اسمها الى اتحاد كينيا الافريقى فى ١٩٤٦) والاتحاد الوطنى الافريقى لكينيا فى ١٩٦٠ وتكونت فى سنة ١٩٤٦ الجمعية الافريقية الديمقراطية ، والكتلة الديمقراطية (التى تغير اسمها فيما بعد الى الاتحاد السودانى) والحزب الشيوعى فى السودان المصرى الانجليزى ، والحركة الديمقراطية لتجديد ملجاش ، وحزب بتاكا فى أوغندا ، وتأسس فى سنة ١٩٤٩ حزب المؤتمر الشعبى فى غانا (ساحل الذهب) والحزب الديمقراطى فى غينيا ، وشهدت السنوات الأولى بعد الحرب تأسيس الحزب الشيوعى فى جزيره ريونيون والهيئات الشيوعية فى باسوتولاند ومدغشقر • وفى هذه الفتره نفسها قامت أحزاب تقدمية فى سيراليون ، وتنجانيقا ، وروديسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند وغيرها من البلاد وازداد عدد هذه الأحزاب فيما تلا ذلك من السنين وأصبح نشاطها معروفا داخل افريقيا وخارجها •

وعلى الرغم من اختلاف برامج هذه المنظمات الوطنية

الكبيرة فانها وحدت كلمة الجماهير ضد سيطرة المستعمرين وضد الامبريالية ومخلفات العهود البائدة • وكافحت لانجاح ثورة التحرير الوطنى ، وبذلت الجهد للقضاء على النظام الاستعمارى فى افريقيا • وقد توحدت جهود الفلاحين والعمال والبورجوازية الصغيرة والمثقفين والبورجوازية الوطنية فى تيار واحد من الثورات العارمة ضد الامبريالية والاستعمار والاقطاع •

كفاح شعوب شرق افريقيا في سبيل التحرير الوطني:

تقدمت حركة التحرير الوطنى فى شرق افريقيا خلال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، ولقيت نجاحا ملحوظا • ويرجع الفضل الأكبر فى هذا النجاح الى الأحزاب السياسية الكبيرة التى وحدت صفوف جميع العناصر الصالحة فى بلادها • وشملت هذه الأحزاب الاتحاد الافريقى بكينيا (الذى سمى فيما بعد باسم الاتحاد الوطنى الافريقى بكينيا) وجمعية الافريقيين بتنجانيقا (التى سميت فيما بعد باسم الاتحاد الوطنى الافريقى بتنجانيقا) والمؤتمر الشعبى بأوغندا •

وفى سنة ١٩٤٧ أخذت انجلترا تنفذ خطتها فى اقامة اتحاد افريقيا الشرقية الذى يتألف من كينيا وتنجانيقا وأوغندا بقصد القضاء على حركة التحرير الوطنى الناشئة واعتمد المستعمرون على كينيا « البيضاء » فى تخليد

حكمهم فى هذه البلدان الثلاث ، الا أن شعوب هذه البلاد بقيادة زعمائها أحبطت خطط المستعمرين ، فلم يتح لاتحاد افريقيا الشرقية أن يرى النور حتى اليوم •

ثم ازدادت حركة الكفاح ضد الاستعمار فى كينيا • وقد ذكرنا آنفا أن الاستعمار انتزع الأراضى من أهالى البلاد بطريقة لم يسبق لها مثيل • لذلك اشتدت المطالبة فى كينيا باعادة الأراضى الى أصحابها أكثر مما اشتدت فى أى بلد آخر ، ولكن المستعمرين عضوا على هذه الأراضى بالنواجذ أكثر مما فعلوا فى أى مكان آخر فى افريقيا : وهذا دعاهم الى الاسراع بشن حرب الابادة التى زعموا أنها اجراء بوليسى ضد « ارهاب الماوماو » •

وفى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٢ أعلن الاستعماريون حالة الطوارىء فى البلاد بعد مقتل « وارهيو » أحد زعماء الكيكويو بطريقة غامضة ، وشرعوا فى شن هجوم على قوات التحرير الوطنى تحت ستار القتال ضد منظمة « ماوماو السرية » فقبضوا على جومو كنياتا وخمسة من زملائه وحاكموهم • وفى صيف ١٩٥٣ ألغوا الاتحاد الافريقى بكينيا وأقاموا حكم الارهاب وأخذوا يشنون حربا نظامية على شعب كينيا • وكان الرد على ذلك قيام حركة وطنية واسعة النطاق لم يستطع المستعمرون سحقها الا فى نهاية ١٩٥٦

وأدرك المستعمرون عجزهم عن السيطرة على بلدان شرق افريقيا وكينيا بقوة السلاح ، فأخذوا يبذلون محاولات متكرره لخداع الشعب بالمناورات السياسية ، فحاولوا مثلا – رغبة في تخليد حكمهم – أن يفرضوا على شعب كينيا « دستور جريفيث » (١٩٥٢) و « دستور ليتلتون » (١٩٥٤) ثم « دستور لينوكس – بويد » (١٩٥٨) دون أن يرفعوا حالة الطوارىء • ولكن شعب كينيا أبى الا أن يواصل الكفاح من أجل الحرية •

وفي سبيل الاستجابة لارادة الشعب ، دعا أوجنجا أودنجا وتوم مبويا وغيرهما من زعماء كينيا الى مقاطعة « دستور لينوكس – بويد » فقبضت الحكومة على أوجنجا أودنجا وأعوانه وقدمتهم للمحاكمة وألقت بهم في السجون • ولكن الشعب عمل على الافراج عنهم • وفي نهاية ١٩٥٨ بدأ الشعب حركة قوية للافراج عن جومو كنياتا وأيد هذه الحركة مؤتمر الشعوب الافريقية في أكرا ، فاضطر المستعمرون الى ابداء تساهل آخر فأفرجوا عن كنياتا في أوائل ١٩٥٩ ولكنهم نفوه الى مكان بعيد • وفي ١٢ يناير ١٩٦٠ اضطر المستعمرون الى رفع حالة الطوارىء ولكنهم ظلوا يحاولون حماية مركزهم ، فأرادوا أن يفرضوا « دستور ماكلويد » الجديد على الشعب •

ولكن شعب كينيا كان يرى أهدافه بوضوح • والفضل

في ذلك يرجع الى الاتحاد الوطني الافريقي بقيادة كنياتا الذي تأسس في مارس ١٩٦٠ ، اذ استطاع شعب كينيا في ظل هـذه المنظمة السياسية أن يواصل كفاحه الى النصر ، ففي الساعات الأولى من يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٣ أصبحت كينيا دولة مستقلة •

وكان النجاح أيضا حليف الكفاح الباسل من أجل الحرية في تنجانيقا وأوغندا ، وزنزبار ، وملاوى ، وزامبيا •

الخطط الاستعمارية من الاستعمار القديم الى الاستعمار الجديد :

ولكن الاستعماريين لا يتخلون عن مراكزهم دون قتال ، ففي السنوات الأولى التي أعقبت الحرب العالمية الثانية حاول المستعمرون أن يجمعوا بين أسلوب القهر والقوه وأسلوب التساهل والوعود الزائفة بادخال الاصلاحات الاجتماعية • وفيما يلى ايضاح هذه النقطة :

قامت مظاهرة للمطالبة بالاستقلال في مراكش في يناير ١٩٤٤ ، فدعيت القوات الفرنسية لمقاومتها ، فاستخدمت أساليب البطش والوحشية في فاس وقتلت مئات الوطنيين من المراكشيين وجرحت آلاف المتظاهرين •

وفى مايو ١٩٤٥ عقب انتهاء الحرب ، اتبع الفرنسيون أسلوب البطش والقوة مع الوطنيين الجزائريين الذين اجترأوا على المطالبة باستقلال بلادهم ، فذبحوا قرابة ٤٠ر٠٠٠ مواطن ، وألغوا جميع الأحزاب والهيئات الوطنية •

ولما وضعت الحرب أوزارها سعى الشعب المصرى الى الغاء معاهدة ١٩٣٦ التى فرضتها عليه بريطانيا بالقوة ، فقامت مظاهرة فى القاهرة فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ فأطلقت القوات البريطانية النار على المتظاهرين •

وفى ١٩٤٧ – ٤٨ شن المستعمرون الفرنسيون حرب ابادة على شعب ملجاش فى مدغشقر فقتلوا ما يربو على ١٠٠ر٠٠٠ من المواطنين وزجوا بأكثر من ٢٠٠ر٠٠٠ منهم فى السجون ومعسكرات الاعتقال •

وفى فبراير ١٩٤٨ أثار ارتفاع مستوى المعيشة اضطرابات فى ساحل الذهب ، فأطلق البريطانيون النار على مظاهرة نظمها المحاربون القدماء ، فتصدت قوات الشرطة ورجال العسكرية لاخماد الاضطرابات التى عمت المستعمرة كلها • وفى ١٩٥٢ – ٥٦ استخدم المستعمرون قوة السلاح ضد شعب كينيا كما سبق آنفا ، فقتلوا أكثر بن بيلا – هى أن شعب الجزائر « فقد مليونا ونصف مليون
وفى نوفمبر ١٩٥٤ بدأ الفرنسيون فى شن حرب

دموية ضد الشعب الجزائرى ، وكانت نتيجة هذه الحرب الوحشية التى استمرت عدة سنوات ـ كما قال أحمد بن بيلا ـ هى أن شعب الجزائر « فقد مليونا ونصف مليون مقاتل وأصبح فيه الآن نصف مليون من النساء الأرامل و ٣٥٠٠٠٠ طفل من اليتامى » .

وألغى الاستعماريون الأحزاب والهيئات الوطنية وحاربوا نقابات العمال ، ولجأوا الى ارهاب زعماء حركة التحرير الوطنى ورشوتهم والقضاء عليهم ، فنفوا موديبو كيتا ، وكوامى نكروما ، وجومو كنياتا ، وماريو دى أندراد ، وأجوستنكو نيتو ، وچيبو بكرى ، ونلسون منديلا ، وانطوان جازنجا وحاولوا اغتيال سيكوتورى وكوامى نكروما . وقام رجال العصابات الذين استأجرهم الاستعمار بقتل فيليكس ـ رولاند مومييه ، وروبين أوم نيوبى (الكاميرون) وباتريس لومومبا ، وموريس مبولو وجوزيف أوكيتو (الكونغو) ولويس رواجاسور ، ورئيس وزراء بوروندى . ولكن القوة لم تجد نفعا وكان لها فى أغلب الأحيان أثر عكسى .

وقد أثبت فشل العدوان الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى على مصر فى ١٩٥٦ للعالم أجمع أن المستعمرين لم يعودوا قادرين على فرض ارادتهم على الشعوب الافريقية بالقوة ، فقد لقن المصريون درسا قاسيا للمعتدين بمساعدة الاتحاد

السوفيتي وغيره من الشعوب الاشتراكية وبتأييد الشعوب الآسيوية والافريقية ، والقوى التقدمية فى العالم بأسره .

وقد لجأ المستعمرون فى دولة اسبانيا والبرتغال الفاشية الى استخدام القوة علنا ، وهذا مظهر من مظاهر الفاشية والدكتاتورية الفاشية القائمة على استخدام القوة وحدها ضد شعوبها وضد شعوب مستعمراتها بوجه خاص . وليس أدل على ذلك من الأحداث التى جرت فى السنوات الأخيرة فى أنجولا وموزمبيق .

وليست القوة هى الوسيلة الوحيدة التى يتذرع بها المستعمرون للابقاء على مراكزهم فى افريقيا ، فقد شعر كثير من الزعماء السياسيين للبورجوازية الغربية فى سنى الحرب أن الأساليب القديمة للحكم الاستعمارى قد عفى عليها الزمن ، فأخذ الاستعماريون يغيرون اصطلاحاتهم السياسية والجغرافية ، ويضفون مظهرا جديدا على جوهر سياستهم الاستعمارية فى افريقيا ، فأخذت الامبراطورية البريطانية ــ مثلا ــ تسمى نفسها الكومنولث البريطانى ثم الكومنولث فقط ، وغيرت فرنسا اسم الامبراطورية الفرنسية الى الاتحاد الفرنسى ثم الى الكومنولث البريطانى ثم الكومنولث فقط ، وغيرت فرنسا تحولت المستعمرات البرتغالية الى « ولايات ما وراء البحار » .. وكان تغيير الأسماء مقرونا بتغيير فى بعض

تفاصيل طريقة الاستغلال الاستعمارى ، فأخذ الاستعمار يلجأ الى استخدام المناورات والألاعيب ، طمعا فى صرف الشعوب عن الكفاح فى سبيل الاستقلال وذلك بابداء التساهل والتلويح بالاصلاح •

واليوم يعد الاستعمار الجديد أكبر خطر على الشعوب الافريقية ، فهو يشبه الاستعمار القديم فى جوهره ولكن خطره يكمن فى أنه يستخدم أساليب أكثر تمويها وخداعا فى السياسة الاستعمارية فهو ينتهج سياسة السيطرة غير المباشرة على الدول المستقلة رسميا •

ففى الميدان الاقتصادى تهدف سياسة الاستعمار الجديد الى دفع الدول الافريقية الناشئة فى طريق التنمية الرأسمالية بغية الابقاء على التخلف الاقتصادى والتخصص الزراعى فى هذه الدول، حتى تبقى معتمدة على الاستعمار • والاداة الرئيسية لتنفيذ هذه السياسة هى استثمار رءوس الأموال الخاصة والحكومية للدول الاستعمارية الغربية ، و « المعونة » الاستعمارية بصورها المختلفة ، وكسب النفوذ عن طريق مناطق «الاسترلينى» و«الفرنك» وغيرهما واستدراج هذه الدول الى الدخول فى التكتلات الاقتصادية الاستعمارية (مثل السوق الأوربية المشتركة) •

ويمكننا أن نقول فى هذه المناسبة أنه فى نهاية ١٩٦٢

بلغت استثمارات الدول الرأسمالية فى افريقيا رقما ضخما يتراوح بين ٢٢٫٠٠٠ ، ٢٣٫٠٠٠ مليون دولار : ٧٫٥٠٠ مليون دولار من انجلترا ، ٦٫٥٠٠ مليون دولار من فرنسا ، ٤٫٠٠٠ مليون دولار من بلجيكا ، ٣٫٠٠٠ مليون دولار من الولايات المتحدة ، ٥٠٠ مليون دولار من جمهورية ألمانيا الاتحادية •

أما فى الميدان المذهبى (الايديولوجى) والسياسى والعسكرى فان الاستعمار الجديد كثيرا ما يلجأ الى التخويف ببعبع الشيوعية ، وتشجيع العناصر الرجعية بين الوطنيين المحليين وعقد المعاهدات غير المتكافئة ، ويسعى جاهدا – ابقاء على سلطته – الى استخدام الأحلاف العسكرية العدوانية مثل حلف الأطلنطى ، واستدراج الدول الافريقية الى الدخول فى الأحلاف العسكرية الغربية عن طريق الاتفاقيات العسكرية الثنائية وانشاء التكتلات العسكرية وتقديم « المعونة » العسكرية • ويهتم الاستعمار اهتماما خاصا باقامة نظم الحكم الصورية التى تأتمر بأمره ، كما يستغل الخلافات بين الدول الافريقية نفسها • وكثيرا ما يستخدم الاستعمار الجديد علم الأمم المتحدة ستارا لتصرفاته •

وتعد الولايات المتحدة – أكبر وأغنى الدول الاستعمارية – هى القوة الرئيسية للاستعمار الجديد • وتسعى

بريطانيا وفرنسا الى استخدام أساليب الاستعمار الجديد وكذلك يفعل الاستعماريون فى جمهورية ألمانيا الاتحادية، وايطاليا ، واليابان ، واسرائيل ، وغيرهم من الدول •

لقد كان التدخل الاستعمارى المسلح فى الكونغو فى نهاية ١٩٦٤ سببا فى تعريض سيادة هـذه البلاد، واستقلالها للخطر • وكان هـذا العدوان الاستعمارى الجديد تحديا واضحا للدول الافريقية وللبلاد المستقلة وللقوى المحبة للسلام فى العالم لأن هذا العدوان انتهاك صارخ لميثاق الأمم المتحدة وتهديد للسلام والأمن الدولى ••

وكان الاستعماريون يريدون تحطيم مقاومة الشعب الكونغولى ، والقضاء على حركة التحرير الوطنى فى أنجولا وموزمبيق ، وانقاذ أنصار التفرقة العنصرية فى جنوب روديسيا وجمهورية جنوب افريقيا ، ثم يسددون ضربة الى الدول الافريقية المستقلة •

بيد أن قرصنة الاستعمار الجديد لن تجلب للاستعماريين مجدا ولا عزا ، فجميع المناضلين الصادقين ضد الاستعمار والامبريالية يعملون على ضم صفوفهم ردا على تآمر الاستعمار ضد الشعوب الافريقية ، وستكون النتيجة طرد المستعمرين من القارة الافريقية الى غير رجعة •

انهيار النظام الاستعمارى فى افريقيا :

كانت فتره الحرب العالمية الثانية والسنوات العشر

التى تلت الحرب فترة حشدت فيها افريقيا قوتها وخاضت معارك الطليعة الأولى ، ووضعت الأساس للانتصارات التى أحرزتها الشعوب الافريقية فيما بعد • وقد نالت ٣١ دولة افريقية استقلالها سنة ١٩٤٦ (١) •

ان تاريخ اعلان استقلال الدول الافريقية هو تاريخ الانتصارات التى أحرزتها ثورات التحرير الوطنى والهزائم التى منى بها الاستعمار والامبريالية فى افريقيا • وقد اتسمت السنوات القلائل الماضية فى افريقيا باستخدام الوسائل غير الحربية فى تحقيق الاستقلال • ولم يتسن الحصول على هذا الاستقلال الا بالتأييد الشامل الذى لقيته الشعوب الافريقية من الدول الاشتراكية ، وبفضل تضامن الشعوب المستقلة حديثا • وقد صرح موديبو كيتا فى أثناء زيارة للاتحاد السوفيتى قام بها فى مايو ١٩٦٢ بقوله : « يجب أن نشيد بمعاونة الشعب السوفيتى فى تحرير الشعوب الافريقية والقضاء على النظام الاستعمارى الشائن » •

ولقد كان لكفاح الشعوب فى شمال افريقيا شأن كبير فى تحرير بقية الشعوب الافريقية ، وكانت ثورة يولية

---

(١) تاريخ استقلال الدول الافريقية موضح فى الملحق •

١٩٥٢ فى مصر هزيمة منكرة للاستعمار البريطانى ، اذ عزلت هذه الثورة أعوان الاستعمار وعلى رأسهم الملك فاروق عن الحكم ، ثم أممت قناة السويس فأفهمت المستعمرين أن الشعب الافريقى يريد أكثر من مجرد الاستقلال السياسى • وعندما حرر المصريون أنفسهم ساعدوا الشعب السودانى على نيل الاستقلال ففى سنة ١٩٥٣ حصلت الجمهورية المصرية من الحكومة البريطانية على حق السودان فى تقرير مصيره بعد فتره انتقال مدتها ثلاث سنوات ، وفى سنة ١٩٥٦ أصبح السودان أول مستعمرة افريقية نالت استقلالها • وتبعه فى تلك السنة نفسها تونس ومراكش • وفى سنة ١٩٦٢ نالت الجزائر استقلالها •

وقد زين الوهم للمستعمرين أنهم لابثون جنوب الصحارى أحقابا ، ولكن طاش سهمهم وخاب ظنهم ؛ وكانت غانا أول دولة برهنت على أنهم كانوا واهمين ، فقد التف شعب غانا حول حزب المؤتمر الشعبى الذى رفع الشعار القائل : « الاستقلال فى الحال » ولم تجد القوة فتيلا ، فأذعن المستعمرون مكرهين فتألفت حكومة فى سنة ١٩٥١ تقلد الافريقيون فيها معظم المناصب الوزارية وعين كوامى نكروما رئيسا للوزراء • وقامت الحكومة بتنفيذ سلسلة من الاصلاحات الديمقراطية

فأدخلت نظام الانتخاب العام وصبغت الاداره بالصبغة الافريقية ، وتألفت حكومة في سنة ١٩٦٤ من الافريقيين فقط ، وفي ٦ مارس سنة ١٩٥٧ أصبحت مستعمرة ساحل الذهب دولة غانا الافريقية المستقلة •

وتلا ذلك انتصار شعب غينيا • ففي أوائل ١٩٥٦ ألف حزب غينيا الديمقراطي الذي قاد كفاح الشعب لجانا قروية في جميع أنحاء البلاد قامت بابعاد الرؤساء المحليين عن السلطة ، واضطرت السلطات الى الاعتراف بهذه اللجان • وفي ديسمبر ١٩٥٧ ألغى نظام الرؤساء رسميا • ولما نظم المستعمرون استفتاء في البلاد في ظل دستور الجمهورية الفرنسية الخامسة إختار الشعب الاستقلال، فنالت غينيا استقلالها في ٢ اكتوبر ١٩٥٨ •

وفي عام ١٩٦٠ وهو « عام افريقيا » نالت ١٧ مستعمرة استقلالها منها ١٤ مستعمره فرنسية وواحده بريطانية ، وواحدة بلجيكية ثم الصومال الانجليزي والايطالي سابقا • وكانت غانا وغينيا التي ظن الاستعمار انهما استثناء من القاعدة هما رائدتا تحرير افريقيا السوداء • وقد بعث المثل الذي ضربتاه روح الثقة في كافة الشعوب جنوب الصحارى ، فخشي المستعمرون أن يعلنوها حربا استعمارية على شعوب افريقيا الاستوائية •

وقد كان انتصار ثورات التحرير الوطني سببا في انهيار

الامبراطورية الاستعمارية لكل من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا • أما امبراطورية ايطاليا الاستعمارية فقد تصدعت أركانها فى أثناء الحرب العالمية الثانية •

ومع ذلك فان عشرات الملايين من أهالى افريقيا لايزالون خاضعين لحكم الاستعمار بصفة مباشره ، ولا تزال هناك أجزاء من المستعمرات السابقة باقية على حالها وهي تشمل باسوتولاند ، وبتشوانالاند ، وجزيرة موريتوس ، وسوازيلاند وروديسيا الجنوبية ، وأنجولا ، وموزمبيق ، وساو تومى ، وغينيا البرتغالية ، وجزيرة ريونيون ، والصومال الفرنسى ، وزيومونى ، والصحراء الاسبانية ، وجنوب غربى افريقيا •

وتعد جمهورية جنوب افريقيا قلعة الاستعمار فى قارة افريقيا ، وبؤرة العنصرية الجامحة والفاشية السافرة • وقد جعلت حكومة فيرفورد التفرقة العنصرية وكراهية الجنس البشرى جزءا من سياستها الرسمية ، كما حاربت حركة التحرير الوطنى بالوسائل الفاشية ، وارتكبت جرائم بشعة ضد الانسانية ، ففى سنة ١٩٦٠ ألغت حزب المؤتمر الوطنى الافريقى وفى نهاية ١٩٦٣ وجهت تهما الى زعماء المؤتمر: نلسون منديلا، وولتر سيسولووج• مبيكي وحكمت عليهم بالسجن • وفى أوائل ١٩٦٤ هزت العالم باصدار حكم الاعدام على فيوسيلى مينى ، وز•مباكا،

ولسون كاينجا ، زعماء الكفاح فى سبيل حقوق الانسان .
وتؤيد حكومة جنوب افريقيا كل ما هو رجعى فى افريقيا فهى تؤيد عملاء الاستعمار من طراز تشومبى كما تؤيد أنصار التفرقة العنصرية في روديسيا الجنوبية ، وتحارب الكفاح فى سبيل الحرية الذى تخوضه شعوب جنوب غربى افريقيا .

وهذا هو السبب فى أن شعوب افريقيا وكافة العناصر التقدمية فى العالم تندد بدعاة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا ، وتعد جمهوريتهم بحق سجنا للافريقيين ، وهذا هو السبب فى أن الدول الافريقية وكثيرا من بلدان العالم تحاصر جمهورية جنوب افريقيا اقتصاديا وسياسيا وتؤيد أهلها فى كفاحهم العادل ضد القوة والارهاب والتفرقة العنصرية .

ولن تترك الرأسمالية الحديثة افريقيا دون قتال . ففى البلاد التى لا تزال تحت حكم الاستعمار المباشر ، يقوم المستعمرون باتباع الوسائل الاستعمارية القديمة بكل همة ونشاط ، كحروب الابادة التى تستخدم فيها أحدث الأسلحة (الحرب ضد شعب أنجولا) والقوة السافرة والحكم البوليسى التعسفى (الصومال الفرنسى ، والمستعمرات الاسبانية وجمهورية جنوب افريقيا) وكالمناورات السياسية المختلفة . ولكن حركة التحرير

الوطنى ماضية فى سبيلها . فاتحاد روديسيا ونياسالاند الاستعمارى قد تقوضت دعائمه ، وأصبحت نياسالاند دولة ملاوى المستقلة ، كما أصبحت روديسيا الشمالية دولة زامبيا المستقلة فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٤ ؛ وعلى الرغم مما تلاقيه حركة التحرير الوطنى من صنوف الكبت والقهر فقد ثبتت أقدامها فى روديسيا الجنوبية تحت زعامة حزب المؤتمر الوطنى الافريقى برئاسة جوشوا نكومو • ويعيث الاستعماريون فسادا فى بتشوانالاند ويسومون أهلها سوء العذاب ولكنهم أعجز من أن يصدوا تيار الشعب •

حركة الطبقة العاملة فى افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية :

كانت الطبقة العاملة وحركة نقابات العمال فى افريقيا حليفا قويا على الدوام لحركة التحرير الوطنى كما كانت جزءا من هذه الحركة • ولذلك فان نموها يعد دليلا على نمو حركة التحرير الوطنى بوجه عام •

وقد تضاعف خلال العشرين سنة الماضية عدد الطبقة العاملة بسرعة كما يتضح من الجدول الآتى :

جدول رقم (١)

ازدياد عدد العمال (١)

الدولة	١٩٣٨	١٩٦٠
انجـــولا	٣١٥ر٥٠٠	٨٠٠ر٠٠٠
غـــانا	٦٣ر٨٠٠	٣٥٠ر٠٠٠
كينيا	١٧٢ر٨٠٠	٥٦٠ر٩٠٠
الكونغو (ليوبولدفيل)	٥٢٢ر٥٠٠	١ر٢٠٠ر٠٠٠
نيجيريا	٢٢٧ر٤٠٠	٧٠٠ر٠٠٠
روديسيا الشمالية	١٥٢ر٢٠٠	٢٦٨ر٨٠٠
تنجانيقا	٢٠٧ر١٠٠	٤٣٩ر١٠٠
أوغندا	٧٢ر١٠٠	٣١٠ر٠٠٠
روديسيا الجنوبية	١٠٧ر٥٠٠	٧٠٠ر٠٠٠

وفضلا عن ذلك ، ازداد تنظيمها ووعيها السياسى • وقد استطاع المستعمرون فيما مضى أن يمنعوا انشاء نقابات العمال أو يحدوا من نشاطها • ثم جاء الوقت الذى لم يجدوا فيه مناصا من الاعتراف بحق العمال الافريقيين فى تنظيم نقاباتهم • ففى سنة ١٩٣٩ سمحوا بانشاء نقابات العمال فى نيجيريا ، وفى ١٩٤٠ فى سيراليون ، وفى ١٩٤١ فى تنجانيقا وساحل الذهب ، وفى ١٩٤٣ فى كينيا • ولما وضعت الحرب أوزارها

---

(١) المجلة الماركسية العالمية عدد ٧ سنة ١٩٦٢

سنت الحكومة الفرنسية قوانين تخول نقابات العمال حرية العمل فى الأراضي الواقعة وراء البحار ، وان كانت الجمعية الوطنية الفرنسية لم تقر هذه القوانين الا فى ٢٣ نوفمبر ، ١٩٥٢ بعد أن قام العمال باضراب عام فى افريقيا الغربية الفرنسية فى ٣ نوفمبر ، ١٩٥٢

والآن وقد بلغ عدد الطبقة العـاملة فى افريقيا زهاء ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ عامل فان أكبر مهمة أمام الطبقة العاملة هى التوسع فى حركة نقابات العمال وتحقيق الوحدة النقابية فى كل دولة وعلى صعيد افريقيا جمعاء ٠ وتضم نقابات العمـال الافريقية فى الوقت الحاضر نحو ثلاثة ملايين عضو يوجد ثلثان منهم فى شمال افريقيا فى حين يوجد جنوب الصحارى ما يقل عن مليون عضو ٠ وسبب ذلك أن البلاد الواقعة جنوب الصحارى نالت استقلالها فى وقت متأخر وأن المستعمرين بذلوا قصـارى جهدهم للحيلولة دون انشاء نقابات العمال ٠

وتعد مشكلة وحده نقابات العمال على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لافريقيا ٠ وقد تم بحث هذه المشكلة فى مؤتمر نقابات العمال لعموم افريقيا المنعقد فى دكار ١٩٤٧ وعقد مؤتمر شهده مندوبو نقابات العمال فى جميع المستعمرات الفرنسية وذلك فى أكتوبر ١٩٥١ بمدينة بماكو ٠

وأسفرت المساعي المبذولة لتحقيق وحدة الحركة العمالية عن تأسيس الاتحـاد العام لعمال افريقيا السوداء فى كتونو فى يناير ١٩٥٧ وبعد سنتين قرر الاتحاد فى أول مؤتمر له عقد مؤتمر لعموم افريقيا ٠

فانعقد هذا المؤتمر فى ٢٥ـ٣٠ مايو ١٩٦١ بالدار البيضاء وشهده أكثر من ٣٠٠ مندوب يمثلون ٤٥ نقابة عمالية فى ٣٨ دولة افريقية ٠ وكانت أكبر نتيجة أسفر عنها المؤتمر هي اقامة اتحاد نقابات العمال لعموم افريقيا وهو الاتحاد الذى ضم أكثر من مليونين من أعضاء نقابات العمال ٠

ثـم تأسس فى ينـاير ١٩٦٢ اتحـاد نقابات العمال الافريقية التابع للاتحاد الدولى لنقابات العمـال الحرة ويضم ٧٠٠,٠٠٠ أو ٨٠٠,٠٠٠ عضو ٠

ومن ذلك يتضح أن وحدة النقابات العمالية على مستوى افريقيا أصبحت الآن على مرمى البصر ، وهذا يتفق بلا نزاع مع مصالح الشعوب الافريقية جمعاء ٠

ولعل الاضراب العام الذى قام فى نيجيريا فى يونيه ١٩٦٤ أهم حدث قام به العمال فى افريقيا ، فقد استمر هذا الاضراب أسبوعين وشمل أكثر من مليون عامل ، وكشف هذا الاضراب عن كثير من المشكلات التى لاتزال تنتظر حلا فى كثير من البلاد الافريقية كما ألقى ضوءا

على حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية ٠

وتكلل الاضراب بالنجاح وبرهن على أهمية اتحاد كلمة العمال ٠ وبفضل ما أظهره المضربون من شدة العزيمة وقوة الارادة ووحدة الكلمة أصبحت مطالبهم محل الاعتبار والاهتمام ٠ وفضلا عن ذلك كان للاضراب شأن كبير فى النضال ضد الاستعمار الجديد ، اذ أثبت أنه ما من حكومة تستطيع أن تدير بلدا اذا هى تجاهلت قوة الطبقة العاملة الناهضة ٠ ولذلك فان العمال يسهمون فى بناء افريقيا الجديده ، بالدفاع عن مصالحهم الحيوية، والكفاح الدائب ضد الاقطاع والاستعمار ٠

افريقيا وحركة التضامن :

ان الشعوب الافريقية تستفيد من حركة التضامن فى كفاحها من أجل الاستقلال ٠

وتقوم حركة التضامن الآسيوى ـ الافريقى بدور هام اذ تشمل هذه الحركة البلاد الاشتراكية فىآسيا وافريقيا وكذلك مندوبى الشعوب التى لا تزال تكافح فى سبيل استقلالها ٠ وقد بدأت هذه الحركة فى مؤتمر باندونج الذى اشتركت فيه ٢٩ دولة ما بين آسيوية وافريقية فى أبريل ١٩٥٥

واشتد ساعد هذه الحركة بفضل مؤتمرات التضامن الأفروآسيوية التي انعقدت في القاهره ١٩٥٨ ، وكوناكرى ١٩٦٠ ، وفى موشى ١٩٦٣ وتقرر عقد المؤتمر التالى فى مايو ١٩٦٥ بمدينة أكرا .

وللمؤتمرات الشعبية الافريقية تأثير عميق فى الحوادث التي تجرى فى افريقيا ، فقد شدت قراراتها من أزر النضال فى سبيل الاستقلال ، اذ أعلن المؤتمر الأول المنعقد فى أكرا سنة ١٩٥٨ هذا الشعار « الاستقلال فى حياة جيلنا ! » ونادى المؤتمر الثانى المنعقد فى تونس ١٩٦٠ « الاستقلال فى الحال » وندد المؤتمر الثالث المنعقد فى القاهرة ١٩٦١ بالاستعمار الجديد فى كافة صوره وأشكاله .

وان تقدم التحرر السياسى فى افريقيا ليزيد باطراد من أهمية المؤتمرات التى تعقدها الدول الافريقية المستقلة (أكرا ١٩٥٨ ، أديس أبابا ١٩٦٠ ، منروفيا ١٩٦١ وهكذا) وقد حاول المستعمرون تمزيق وحدة البلاد الافريقية وبث العداوة بينها ، وأثارت هذه المناورات بعض الصعوبات فى افريقيا ، فبعض البلاد الافريقية انضمت الى شعبة منروفيا (تبعا لاسم مؤتمر ١٩٦١) وبعضها الآخر : مالى وغينيا والجزائر وغانا والمغرب والجمهورية العربية المتحدة ـ انضم الى شعبة ميثاق

الدار البيضاء • وازداد الموقف حرجا فى سبتمبر ١٩٦١ حين قام اتحاد افريقيا وملجاش •

وعلى الرغم من هذه الصعوبات فان فكرة التضامن الافريقى ماضية فى سبيلها • ففى يونيه ١٩٦٢ أعلنت اللجنة السياسية الافريقية فى دورتها الثانية — وهى اللجنة التى اقامتها منظمة ميثاق الدار البيضاء — تأييدها للاتحاد مع شعبة منروفيا •

وقد أسفرت الجهود المبذولة لتوثيق الأواصر بين الدول الافريقية المستقلة عن عقد مؤتمر القمة لرؤساء الدول والحكومات المستقلة فى ٣٠ دولة افريقية مستقلة وذلك فى ٢٣—٢٥ مايو ١٩٦٣ بمدينة أديس أبابا • وكانت النتيجة الكبرى لهذا المؤتمر هى انشاء منظمة الوحدة الافريقية • وحدد المؤتمر أهداف المنظمة فيما يلى :

تدعيم أواصر الوحدة والتضامن بين الدول الافريقية ، وتنسيق وزيادة التعاون بينها والدفاع عن سيادتها وسلامة أراضيها واستقلالها ، ومحاربة الاستعمار فى كافة صوره وأشكاله فى القارة الافريقية ، وتدعيم التعاون الدولى •

وأعلنت الدول المشتركة فى المؤتمر أنها ستبذل كل جهد لمساعده الدول التى لا تزال خاضعة للاستعمار على تحقيق استقلالها وأنها ستمتنع عن الانحياز الى احدى الكتل •

وقرر المؤتمر أن تتألف أجهزة منظمة الوحدة الافريقية مما يأتى :

مجلس رؤساء الدول والحكومات (وهو الهيئة العليا وتنعقد سنويا) .

مجلس الوزراء (ويتألف من وزراء الخارجية وينعقد مرتين على الاقل فى كل عام) .

الأمانة العامة .

لجنة الوساطة والتوفيق والتحكيم .

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية .

لجنة التربية والتعليم والثقافة .

لجنة الصحة والتغذية .

لجنة الدفاع .

لجنة العلوم والفنون والبحوث .

لجنة تنسيق حركات التحرير وتتألف من ممثلى الحبشة والجزائر وأوغندا ، والجمهورية العربية المتحدة وتنجانيقا والكونغو (ليوبولدفيل) وغينيا والسنغال ونيجيريا ومقرها فى مدينة السلام .

وقد أكد مؤتمر أديس أبابا من جديد تمسك الدول الافريقية الجديدة بأن تكون افريقيا منطقة خالية من من الأسلحة النووية ، واستنكر بشدة سياسة التفرقة العنصرية التى تسير عليها جمهورية جنوب افريقيا ، وقرر

انشاء صندوق لمحاربة التفرقة العنصرية • وتنفيذا لقرارات المؤتمر قررت الدول الافريقية مقاطعة جمهورية جنوب افريقيا ودولة البرتغال العنصرية •

وتقوم منظمة الوحدة الافريقية بدور هام فى الشئون السياسية الافريقية فقد ساعدت ـ مثلا ـ على تسوية النزاع الخطير على الحدود بين الجزائر والمغرب وبين أثيوبيا والصومال وبين الصومال وكينيا • وعقد المؤتمر الثانى لمجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية فى ٢٤ـ٢٩ فبراير ١٩٦٤ فى مدينة لاجوس ، وبحث المؤتمر تسوية المنازعات على الحدود بالطرق السلمية ، وأنشأ لجنة للتوفيق تتألف من ١٣ دولة ، وأكد من جديد مبدأ اعلان افريقيا منطقة خالية من الأسلحة النووية ، وأهاب بجميع دول العالم أن تلتزم بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن بتطبيق العقوبات الاقتصادية والسياسية وغيرها على جمهورية جنوب افريقيا ، وأيد دعوة مؤتمر للتجارة الدولية تابع للأمم المتحدة •

وتؤيد منظمة الوحدة الافريقية زياده تمثيل الدول الافريقية فى أجهزة الأمم المتحده • وهدفها الأساسى هو معاونة الدول الافريقية على تحقيق الأهداف المشتركة فى القضاء على رواسب الاستعمار وكذلك أهداف ثورات التحرير الوطنى •

أهداف ثورات التحرير الوطنى في افريقيا :

يسير التحرير الوطنى والثــورة ضد الاســتعمار فى افريقيا على مراحل متعددة : المرحلة الأولى هدفها تحقيق الاستقلال السياسى • وقد اجتازت هذه المرحلة ٣٢ دولة من دول افريقيا المستقلة حديثا ، فوضعت حدا لسيطرة الاستعمار المباشر على أراضيها •

يلى ذلك مشكلة الانتقال الى المرحــلة الثانية وهدفها الرئيسى هو تعزيز السيادة الوطنية على أساس الاستقلال السياسى، ومحو آثار الاستعمار ، وخلق الاقتصاد الوطنى، واحياء الثقافة القومية • وتحقيق هــذه الأهداف يكفل تحقيق الهدف الأصلى وهو القضاء على التخلف الاقتصادى والاعتماد على الرأسمالية العالمية • وبتحقيق هذه الأهداف تتحول ثورة التحرير الوطنى الى ثورة ضد الرأسمالية• وقد ســارت الدول الافريقية المتقدمة فى طريق البنــاء الاشتراكى •

ان التطور الرأسمالى هو أحد الطرق للقضاء على تخلف افريقيا الذى طال عليه الأمد ، ولكنه طريق طويل وعسير ولا يتيح الخلاص من سيطرة الاحتكارات الأجنبية ، وآية ذلك جنوب افريقيا وليبريا • وفوق كل شىء فان هــذا الطريق لا يعود بالفائدة الا على طائفة قليلة من البورجوازية

الوطنية والموظفين وطبقة المثقفين وهو لا يلغى استغلال الانسان للانسان ولا يلغى التفاوت الصارخ والفقر بين جماهير الشعب • وهذا هو الذى يجعل الدول الافريقية تدرك مزايا الاشتراكية على الرأسمالية ، وتبذل جهدها لتخطى المرحلة الرأسمالية فى التنمية •

وقد دلت التجارب على أن ثورات التحرير الوطنى تنجح حيث تتخذ تدابير ثورية فى المجالات الآتية :

الزراعة :

يجب فى هذا المجال استئصال آثار الاستعمار ، واعادة الأرض التى انتزعها الاستعماريون الى الفلاحين ، واستئصال شأفة الاقطاع ، كما يجب اقامة الجمعيات التعاونية لأنها تساعد على رفع مستوى الحياة بين الفلاحين ، وتحول دون افلاس صغار المنتجين ، وظهور طبقة من المستغلين فى الريف • وهذه التدابير على أعظم جانب من الأهمية لأن السواد الأعظم من سكان افريقيا هم الفلاحون •

الصناعة والتجارة :

الهدف الأساسى فى هذا المجال هو التصنيع ، ولكن

التصنيع يمكن أن يبدأ بتنمية الصناعات الخفيفة بقصد الوصول الى الهدف النهائى وهو الصناعة الثقيلة متى تهيأت الظروف الملائمة ، وذلك بفضل المعونة التى تقدمها البلاد الاشتراكية والتعاون المطرد بين الدول الافريقية . وهـذا النوع من التصنيع سيزيد أسباب الرخاء فى افريقيا ، ولن يتطلب مزيدا من التضحية والحرمان . ومما يساعد على الاسراع فى هذا السبيل ايجاد قطاع حكومى فى ميدان الاقتصـاد وتدعيمه ، وذلك بتأميم المؤسسات الصناعية القائمة ، وقيام الدولة بانشاء مصانع جديدة . ولا ريب أن القطاع العام وهيمنة الدولة على التجارة الداخلية وعلى التجارة الخارجية بصفة خاصة من شأنه أن يسهل عملية التخطيط السليم الدقيق .

تطوير أجهزة الدولة :

يجب فى هذا المجال تعزيز الديمقراطية والعمل على ازدياد النشاط السياسى بين الجماهير ، وتحسين الجهاز الحكومى وتطويره وكل ما يتصل به .

ان آثار الاستعمار قديمه وحديثه تعرقل تطور الدول الافريقية الجديدة . وفضلا عن ذلك فان بعض هـذه الدول لم يحقق الاستقلال السياسى بعد .

وعلى الرغم من تقدم حركة التحرير الوطنى بين الشعوب

الافريقية فان الاســتعمار لم يصب بالهزيمة النهائية ، ولــم تتخلص معظم الدول الافريقية الناشئة من أغــلال الاقتصاد الرأسمالى العالمى ، ولا تزال تعتمد اقتصاديا على الاحتكارات القديمة والاحتكارات الكبرى فى العالم، وتمد العالم بالمواد الخام والمواد الغذائية ، ولا تزال هى هدف الاستغلال شبه الاستعمارى ٠

ان افريقيا تنتج ١٪ فقط من جملة الانتاج الصناعى فى العالم كله ٠ ويبلغ سكان افريقيا ٨٪ من عدد ســكان العالم ولكن دخلها لا يزيد على ٢٦٪ من الدخل العالمى ، ذلك بأن الاستعمار لم يترك لها سوى الجهل والمرض ونقص الموظفين فى مجال التكنولوجيا والعلوم والثقافة ٠

استئصال شأفة الاستعمار :

ان افريقيا تتوق الى التغلب على تخلفها الحالى وبناء حياة جديدة ٠ ولكن أين السبيل الى بلوغ هذا الهدف ؟ وهل ثمة شروط للوصول اليه ؟ نعم ، ثمة شروط لابد منها ٠

بيان ذلك أن معظم الشــعوب الافريقية قد أصبحت مستقلة سياسيا أى استولت على مقاليد السلطة بعد أن انتزعتها من أيدى الاستعماريين ٠ وقد توصلت الدول

الافريقية الى تحقيق ذلك بالاعتماد على الوحدة الافريقية التي أصبحت عاملا كبيرا في تحرير القارة ، وعلى مساعدة الدول الاشتراكية ، ولذلك فهي تستطيع أن تختار طريق التنمية الذي تريده . والمشاهد أن الدول الافريقية تميل يوما بعد يوم الى اختيار الطريق الاشتراكي للتنمية . وهذا أمر يدعو الى التقدير لأن الاشتراكية معناها الحرية والسعادة . هذا الى أن الطريق الاشتراكي يمكن افريقيا من تحقيق هدفها الرئيسي وهو سرعة التغلب على التخلف والظفر بالاستقلال من المستعمرين .

قال موديبو كيتا : « لو أننا لم نسلك طريق التنمية الاشتراكية بعزم وقوة ، ولو أننا اخترنا الطريق السهلة التي تصادف هوى لدى الزعماء الأفريقيين الذين لا يلقون للشعب بالا ، ولو أننا انتظرنا حتى يكفل لنا الرأسماليون التنميـة الاقتصـادية ، لكان علينا أن ننتظر مائة عام بتمامها » (١) .

ولقـد قررت شـعوب الجزائر والجمهورية العربية المتحدة ، وغينيا ، وكينيا اختيار طريق الاشتراكية .

ومن ذلك يتبين أن الاستقلال السياسي وتدعيم هـذا الاستقلال هو الشرط الأول للانتقال الى الحياة الجديدة .

(1g) Meetin Africa, Moscow, P. 168

ثم ان القياده عامل أساسى آخر فى اختيار طريق التنمية، ذلك أن أهداف الثورة على الاستعمار والامبريالية تتحقق بطريقة أسرع فى البلاد التى يتولى مقاليد الحكم فيها الثوريون والديمقراطيون والأحزاب والزعماء الذين يعبرون عن مصالح الشعب كله • ويقوم بدور خاص فى هذه البلاد الجناح التقدمي من المثقفين والعسكريين الوطنيين الذين يعبرون عن مصالح الشعب تعبيرا صحيحا • ويتولى مثل هؤلاء الزعماء والأحزاب مقاليد الحكم فى مالى ، والجزائر ، وغانا وكينيا والجمهورية العربية المتحدة وبعض البلاد الأخرى •

ثم ان وحدة الشعب فى النضال من أجل حياة جديده، وتأييد الجماهير الفعال لكافة التدابير التقدمية التى تتخذها الحكومات شرط جوهري آخر للانتصار على الاستعمار وللانتقال الى الاشتراكية وتتوافر هذه الشروط بسهولة فى معظم البلاد الواقعة جنوب الصحارى : فلا يوجد تفاوت ظاهر بين طبقات الشعب ، ولم تنشأ فى الواقع بورجوازية محلية ، والفلاحون — وهم الأغلبية الساحقة فى الشعب — لا يزالون فى مرحلة العلاقات القبائلية ولا يميلون الى الملكية الفردية ، بل يؤيدون المبادىء الاشتراكية • ولذلك فان الظروف مهيأة فى هذه البلاد لتنفيذ الاجراءات ذات الصبغة الاشتراكية مع التأييد

الكامل من جانب الشعب كله ٠

هذه الوحدة يمكن بل يجب أن تؤدى الى تدعيم الاستقلال الوطنى وتعزيز الحكومة الوطنية ، وايجاد دولة ديمقراطية قومية أى دولة قائمة على تكتل جميع القوى التقدمية والوطنية ، وهى القوى التى تؤيد الاستقلال الوطنى الكامل ، والديمقراطية العريضة ، والثورة الديمقراطية على الاستعمار والاقطاع ٠

ان معاونة ومساعده المعسكر الاشتراكى التى تمكن افريقيا من احباط مكايد المستعمرين ومؤامراتهم لهى من أهم الشروط للتقدم فى الطريق الجديد ٠

ان توافر كل هذه الشروط والعوامل الملائمة يمكن البلاد التى اختارت طريق الاصلاح الاشتراكى من رسم أهداف ثورة التحرير الوطنى وتنفيذها ٠

فى شهر نوفمبر ١٩٦٤ انتهت الدورة المشتركة غير العادية للجمعية الوطنية والمجلس الوطنى للثورة فى جمهورية غينيا ، وتقرر بالاجماع تأييد القرارات الهامة التى تهدف الى دعم اقتصاد البلاد وتعزيز النظام الديمقراطى الوطنى وصلاته بالجماهير ، وهى القرارات التى عرضها المكتب السياسى الوطنى للحزب الديمقراطى فى غينيا وحكومة الجمهورية ٠

وتنص القرارات الجديدة على اعادة احتكار الدولة

للتجاره الخارجية ، وتبادل الامتيازات التجارية ، وتخفيض عدد تجار القطاع الخاص الى أدنى حد ممكن ، واتخاذ اجراءات رادعة ضد الأشخاص الذين يهربون السلع من البلاد أو يجنون أرباحا استثنائية أو يتلاعبون بالعملة ، وتطهير الجهاز الحكومي من العناصر التي تعمل على افساده بالرشوة وغير ذلك من الوسائل ، وتشكيل لجان لمصادره الأموال التي اكتسبت بطريقة غير شريفة ، وتعزيز تشكيلات الحزب الديمقراطي الغيني وأجهزته الرئيسية ، وذلك بمنع تعيين التجار والأشخاص ذوى السوابق الاجرامية في المناصب الرئيسية وغير ذلك من التدابير .

ونوه الرئيس سيكوتوري بأن هذه التدابير هي رد على أعمال القوى والعناصر التي تعادى الثورة والشعب والحزب ، وتهدف الى الغاء النظام الحالي والمكاسب التقدمية التي أحرزها الشعب الغيني ، وصرح بأن الغرض من هذه التدابير هو « الغاء البيروقراطية باعتبارها الشكل الأول للرأسمالية المستغلة والحليف الطبيعي للامبريالية والاستعمار الجديد » .

وصرح سيكوتوري في المؤتمر السادس للحزب الديمقراطي الغيني المنعقد في ديسمبر ١٩٦٢ قائلا : « نحن نعتقد ــ وهذا هو الوقت المناسب للتصريح بذلك ــ أن صبغ المجتمع العالمي بالصبغة الاشتراكية ــ أمر حتمي »

ان تجربتنا هى محاولة جديدة لدعم التنمية الاشتراكية فى مجتمع زراعى فى جوهره • ان طريقنا هو طريق التنمية غير الرأسمالية• ولن نحيد عن هذا الطريق ، لأنه الطريق الوحيد الذى يكفل مصالح المجتمع كله ، ويحرر كل فرد من الظلم الذى يلازم استغلال الانسان للانسان •

مثل من مالى :

لقد أحرزت دول افريقيا المتقدمة نجاحا كبيرا بعد أن سارت فى طريق التنمية الاشتراكية • وتتولى الأحزاب الوطنية الديمقراطية فى الشعوب الثورية قياده الجماهير• ومن هـذه الأحزاب الاتحاد السودانى الذى يضم كافة العناصر التقدمية الصالحة فى مالى • وتتلخص الأهداف الوطنية الديمقراطية العامة التى رسمها الحزب لنفسه فيما يلى :

تدعيم الاستقلال السياسى ، وتنفيذ الاصلاح الزراعى لمصلحة الفلاحين ، وبناء وتنمية الصناعة الوطنية ، ورفع مستوى المعيشة ، وبث الروح الديمقراطية فى الحيـاة الاجتماعية ، وتقييد الاحتكارات الأجنبيـة ثم طردها ، واتباع سياسة خارجية سلمية ومحايدة ، وتوثيق أواصر التعاون الاقتصادى والثقافى مع الدول الاشتراكية وجميع الشعوب الصديقة الأخرى •

وفى سبتمبر ١٩٦٢ قرر الاتحاد السودانى – الحزب الحاكم فى مالى – بناء مجتمع اشتراكى فى البلاد على أساس نظرية الاشتراكية العلمية • وتقوم حكومة مالى برياسة موديبوكيتا باصلاح اقتصاد البلاد بغية القضاء على الأوضاع الاستعمارية الموروثة من الماضى وتعمل على توسيع نطاق القطاع العام وتدعيمه فى مجال الصناعة والتجارة • وتحقيقا لهذا الغرض أنشأت الحكومة شركات النقل الحكومية ، كما أممت « مكتب النيجر » وهو مركز انتاج السلع الزراعية وأنشأت بنكين : بنك التنمية الشعبى وبنك مالى للتسليف والايداع ؛ وتشرف شركة «سوميكس» على التجارة الخارجية ، وهى شركة للتصدير والاستيراد تديرها الحكومة ؛ وكذلك تهيمن الدولة على التجارة المحلية • وفى يناير ١٩٦١ فرضت الحكومة قيودا على تصدير رءوس الأموال، وألزمت الشركات الأجنبية باعادة استثمار ٧٥٪ من أرباحها فى الصناعات التى تحددها الحكومة • ويجرى بنجاح تنفيذ خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦١–٦٥ وأدخلت الحكومة فى ١٩٦٢ وحدة نقدية وطنية أسمتها « فرنك مالى » •

وبعد انشاء الشركات الحكومية المتعدده أصبح شعب مالى – كما قال موديبوكيتا – « سيد الانتاج والمسيطر على أمواله » وتقوم الدول الاشتراكية بمعاونة حكومة مالى

فى تدعيم القطاع العام واقتصادها كله • فالاتحاد السوفيتى ــ مثلا ــ يساعدها على توسيع نطاق « مكتب النيجر » والجيولوجيون السوفيت يساعدون فى التنقيب عن الرخام والذهب والحجر الجيرى لصناعة الأسمنت كما ينقبون عن الماس والبترول • ويقوم الاتحاد السوفيتى ببناء مركز للتدريب المهنى يضم ٣٠٠ طالب • وقد أنشىء مصنع لتصنيع الطماطم والمانجو وتم تشغيله فى مدينة باجندا بمساعدة بلغاريا ويوغوسلافيا •

وقد سارت الجمعيات التعاونية الزراعية بخطى حثيثة فى سبيل التقدم ؛ وتمت أفرقة الوظائف بما فى ذلك الوظائف الحربية ، وسار التعليم بخطى سريعة •

ويعمل شعب مالى على تنفيذ قرارات المؤتمر السادس للاتحاد السودانى وقد شرح فى هذا المؤتمر ادريسا ديارا ــ السكرتير السياسى للحزب ــ خطة الاصلاح بقوله : « نحن نسير الآن فى مرحلة الاصلاح الاشتراكى لعلاقات الانتاج والتبادل التجارى • وهذه المرحلة تتسم بانتقال اقتصادنا تدريجيا من الطابع الاستعمارى الى الطابع شبه الاشتراكى • فالزراعة فى هذه المرحلة يجب صبغها جزئيا بالصبغة الاشتراكية ، وكذلك التجارة والحرف يجب أن تصبح شبه اشتراكية ، كما يجب بناء صناعة تجهيزية صغيره ، وتهيئة الوسائل للصناعة الثقيلة ».

هذه الرحلة سوف تستغرق عدة سنوات • ثم تبدأ بعدها مرحلة البناء الاشتراكى ، وسيتم الاسراع فى تحقيق الاشتراكية على أساس منجزات المرحلة الأولى بغية بناء الصناعة بمعناها الكامل مستخدمين فى ذلك موارد القوة المائية ثم موارد الثروة المعدنية بقدر الامكان » (١) •

ان منجزات شعب مالى الاقتصادية من شأنها أن تجعل هذه الجمهورية أقوى تأثيرا فى العالم ؛ وتؤثر مالى فى جيرانها أكبر تأثير عن طريق القدوة الصالحة ، وتقوم — الى جانب ذلك — بدور فعال فى تسوية المشاكل الكبرى فى الشئون الافريقية والعالمية ، وتساعد الشعوب فى كفاحها لتسوية المسائل المعلقة بالطرق السلمية ، وتخفيف حدة التوتر العالمى ، وتهيئة أسباب السعادة والرفاهية لجميع الأمم •

ان السياسة الخارجية والداخلية لحكومة مالى والاتحاد السودانى تلقى تأييدا كاملا من الشعب ، ففى الانتخابات البرلمانية التى جرت فى ١٢ أبريل ١٩٦٤ أحرز الاتحاد السودانى ٩٩ر٩٪ من أصوات الناخبين ، مما يدل على أن شعب مالى يريد الاشتراكية •

---

(١) ا• فاسـبانين : جمهورية مالى — موسكو ١٩٦٣ ص ٦٨

كينيا تعزز استقلالها :

ان أهل كينيا يشعرون كما بينا آنفا أن تحقيق الاستقلال السياسي ليس هو بداية الطريق ولا نهايته الى الحرية والسعادة الحقيقية • ولذلك كان حزب الاتحاد الوطني الافريقي الكيني - وهو الحزب الحاكم - سديد الرأي حين قال في بيانه ان هدفه هو انشاء « مجتمع اشتراكي افريقي ديمقراطي » وصرح جوموكنياتا في رسالة سبقت بيان حزب الاتحاد الوطني الافريقي الكيني (١٠ و٠ ١٠ ك) قبل الانتخاب فقال : « ان الاستقلال الذي كافحنا طويلا في سبيله ليس غاية في ذاته ولكنه سيتيح لنا الفرصة لأن نعمل بدون قيد على خلق كينيا الاشتراكية الافريقية الديمقراطية » (١) •

وكينيا دولة زراعية ، شأنها في ذلك شأن معظم الدول الواقعة جنوب الصحارى ولذلك فان الحزب الكيني (١٠ و٠ ١٠ ك) يولي الاصلاح الزراعي اهتماما كبيرا ومن أهدافه الكبرى استعادة الأراضي التي انتزعها المستعمرون • وهذه مشكلة عسيره الحل جدا ولكن الحزب الكيني (١٠و١٠٠ك) بدأ في علاجها • وهو ينوي أيضا أن يعيد تنظيم الريف بالتدريج ، حتى يتسنى انشاء الجمعيات التعاونية الزراعية • ويهتم زعماء البلاد اهتماما كبيرا بالأخذ بنظام

---

(١) «انذار نهائي الى الاستعمار» بقلم ١٠م• جلوخوف• موسكو ١٩٦٤ ص ١٠٩

التخطيط « وهيمنة الحكومة على الاقتصاد تحقيقا لمصلحة الأمة » وتعمل حكومة كينيا برياسة جومو كنياتا على الغاء المراكز التى لا يزال يشغلها حكام كينيا السابقون •

ويعمل شعب كينيا جاهدا للقضـاء على ثلاث آفات رئيسية ألا وهى الفقر والمرض والجهل • وقد عبأ الشعب جهوده لاستئصال هـذه التركة المقوتة التى خلفهـا الاستعمار ، فلا عجب أن تنادى الشعب بهذا الشعار : « اعملوا يدا واحدة » •

ولا يزال النظام الجمهورى الذى أعلن فى كينيـا فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٣ يعمل على تعزيز اسـتقلال البلاد • وقد آل منصب رئيس الدولة الذى كانت تشغله ملكة انجلترا رسميا الى يد كينيا مباشره •

وفى يونية ١٩٦٤ أعلنت كينيـا خطة التنميـة التى وضعتها للبلاد • وتقضى هذه الخطة بانتاج سلع تقـدر قيمتها بنحو ٣٦٤٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى فى سنة ١٩٧٠ ، وأكد جومو كنياتا عند اعلانه هـذه الخطة أن بلاده تنوى أن تستخدم « كل الموارد الممكنة لتحقيق نهضة اقتصادية سريعة فى غضون السنوات الست القادمة » والمقرر أن يزداد انتاج الشاى والأرز والسكر والسيسال والخشب ازديادا كبيرا • وسيزداد انتاج القطن بنسبة ٨٠٠٪ ، وقد اتخذت الأسباب للاسراع فى تربية المواشى،

وانشاء شـبكات الرى والطرق وزيادة انتاج الطـاقة الكهربية (١) ٠

وتتلقى كينيـا معونة من الدول الافريقيـة الأخرى وكذلك من الدول الاشتراكية التى أنشأت كينيا علاقات طيبة معها ٠

وقام وفد كينى برياسة أچوما أوجنجا أودنجا بزيارة الاتحـاد السوفيتى فى أبريل ـ مايو ١٩٦٤ ووافقت الحكومة السوفيتية فى أثناء المحادثات على مساعدة كينيا ببناء مصنع للنسـيج ، ومصنع لحفظ السمك ومعمل لتكرير السكر ومصنع لحفظ الفاكهة وأنواع مختلفة من المشروعات الزراعيـة ومحطة اذاعة ٠ وعـلاوة على ذلـك سيساعد الاتحـاد السوفيتى كينيا على تدريب الفنيين الوطنيين ويهديها كلية فنية كاملة المعدات تسع ١٠٠٠ر١ طالب ، كما سيهديها مستشفى به ٨٠٠ سرير وعيادة طبية لمعالجة ١٠٠ مريض يوميا ، وستزود العياده بالأطباء السـوفيت ٠ ولا ريب أن ذلك كـله من شأنه أن يعزز استقلال كينيا ٠

وأعلن الوفد الكينى فى البلاغ الكينى ـ السوفيتى تأييده لمعاهدة موسـكو بشأن الحظر الجزئى للتجـارب النووية ، وهى خطوة هامة لوقف سباق التسلح النووى،

---

(١) « زاروبزهوم » عـدد ٣٤ بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٦٤ موسكو ، ص ٢٠.

وكذلك تأييده للتدابير الأخرى التى تساعد على تخفيف حدة التوتر الدولى ، وبذلك يمكن تفادى الحرب العالمية الثالثة ٠

وتقوم كينيا بدور فعال فى النضال الذى تخوضه جميع الدول الافريقية المستقلة لطرد المستعمرين من القارة ، ولتعزيز الوحدة الافريقية ، وحظر التجارب النووية ، وتسوية جميع المسائل السياسية المتعلقة ٠

افريقيا فى العالم الحديث :

أخذت افريقيا فى الأيام الأخيرة تقوم بدور أكبر فى الشئون العالمية ، فصوتها يعلو ويزداد تأثيرا يوما بعد يوم فى جنبات الأمم المتحدة وفى المحافل والمؤتمرات الدولية ، وتشارك الدول الافريقية فى تسوية كافة المشاكل الكبرى فى العالم ٠

وتسهم افريقيا بقدر كبير فى تسوية المشكلة الكبرى فى العصر الحديث ألا وهى مشكلة تجنب نشوب حرب عالمية ثالثة وحدوث مذبحة ذرية ٠ ففى مؤتمر أديس أبابا — مثلا — أعلنت الدول الافريقية المستقلة أنها تؤيد بالاجماع نزع السلاح نزعا عاما وشاملا ، وتحويل افريقيا الى منطقة خالية من الأسلحة الذرية ، كما تؤيد بالاجماع معاهدة موسكو للحظر الجزئى للتجارب النووية ٠ وما ان حان الوقت الذى تصبح فيه هذه المعاهدة سارية المفعول

فى ١٠ أكتوبر ١٩٦٣ حتى أمضتها جميع الدول الافريقية باستثناء غينيا ، والكونغو (برازافيل) وجمهورية افريقيا الوسطى ، وذلك استجابة لنداء منظمة الوحدة الافريقية .

ان الشعوب الافريقية تكافح من أجل السلام ، وهذا أمر لا يدعو الى الدهشة لأن هــذه الشعوب لا تبغى الاشتراك فى حرب عالمية أخرى تجلب النكبات على الجنس البشرى كله بما فى ذلك الأمم الافريقية .
يضاف الى ذلك أن الموقف العالمى المتوتر فى الوقت الحاضر من شأنه أن يرغم الدول الافريقية على استنزاف مواردها الضئيلة ، وانفاق مبالغ ضخمة من المـال عـلى الاحتياجات العسكرية . وهذا المـال هو ألزم ما يكون لتنمية الاقتصاد وتحسين مستوى المعيشة .

ان الاحتفـاظ بالجيوش يزيد المشـاكل التى تواجه الدول الناشئة ويفتح ثغرة لتدخل المستعمرين الذين يحلمون باستعادة مراكزهم التى فقدوها فى افريقيـا . فالمستعمرون بسيطرتهم عـلى جيوش الدول الناشئة ، تتهيأ لهم الفرصة للتدخل فى شئون البلاد الداخلية . وآية ذلك ما حدث فى جابون وشرق افريقيا .

ثم ان وجود قواعد عسكرية للدول الاستعمارية فى افريقيا من شأنه أن يجعل القارة مثارا للنزاع بين المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى ، ويحولها الى نقطة وثوب للهجوم

على الدول الاشتراكية .

وهذا يفسر لنا السبب في تصميم الشعوب الافريقية على ازالة القواعد العسكرية الأجنبية من أراضيها . وقد ضربت مالى مثلا فى هـذا الاتجاه لغيرها من البلاد ، اذ لا توجد أية قاعدة أجنبية على أراضيها . وقد أرغم الشعب الكينى انجلترا على الوعد بازالة قواعدها فى ديسمبر ١٩٦٤ ، وقد زالت القواعد الأجنبية في كثير من البلاد الافريقية بالفعل أو هى فى طريقها الى الزوال عما قريب .

هذا الكفاح يبين لنا أن الشعوب الافريقية لاتستجدى السلام من المستعمرين فى ذلة وصغار وانما تظفر به فى عزة واستكبار . وهنا تتجـلى أهمية الحياد الايجـابى وسياسة عدم الانحياز التى تنتهجها الدول الافريقية ، فلا نرى اليوم دولة افريقية ناشئة تنتمى الى أى حلف استعمارى عسكرى .

والدول الافريقية فى كفاحها من أجل السلام تؤيد بقوة تلك الأمم التى تضطر الى نيل استقلالها بقوة السلاح . ومما يساعد المسـتعمرات فى كفاحها من أجـل الحرية التعايش السلمى بين الرأسمالية والاشتراكية . ولما كان المعسكر الاشتراكى يحول بين الاستعماريين وبين اشعال نار الحرب ، فان الشـعوب الافريقية تؤيد سياسة التعايش السلمى التى تسير عليها الدول الاشتراكية .

ان الشعوب الافريقية تريد اقامة علاقات ودية مع جميع الأمم • ولذلك فان أواصر التعاون والصداقة تزداد توثقا بين الدول الافريقية والدول الاشتراكية وتقوم الصداقة بينهما على أساس وطيد •

ولو أن حركة التحرير فى افريقيا لم تعتمد على تأييد المعسكر الاشتراكى المطرد ولاسيما الاتحاد السوفيتى لما أحرزت هذه الانتصارات البعيدة المدى ، فقد قدمت الدول الاشتراكية يد المساعدة للشعوب الافريقية وهى تجاهد فى سبيل استقلالها ، فى شكل أسلحة وأغذية وأدوية ، وكذلك أيدتها أدبيا وسياسيا عن طريق الأمم المتحده والانذارات الجادة التى وجهتها الى المستعمرين ، وابرام الاتفاقيات السياسية مع الحكومات المؤقتة للدول الناهضة، والاعتراف الفعلى والشرعى بهذه الحكومات •

واليوم وقد دخلت افريقيا فى المرحلة الثانية من حركة التحرير الوطنى فان المساعدة الاقتصادية والفنية التى تقدمها الدول الاشتراكية ذات أهمية حاسمة ، فهى تمكن الدول الافريقية الجديدة من تعزيز استقلالها الاقتصادى ، ورفع مستوى المعيشة والحياة الثقافية لشعوبها •

وفى أواخر ١٩٦٣ بلغت القروض ذات الشروط السهلة التى قدمها الاتحاد السوفيتى الى الدول الافريقية ٠٠٠ر١

مليون روبل ، واستطاعت هـــذه الدول بفضل المعونة السوفيتية أن تنشىء أكثر من ٦٠ مشروعا صناعيا وغير ذلك من المشروعات • ويقوم الاتحـــاد السوفيتى اليوم بالمساعدة فى انشاء ٩٠ مشروعا فى الجمهورية العربية المتحـده (بما فى ذلك المرحلة الثانية من السد العـالى بأســوان والمحطة الكهربائيـة) وفى انشــاء كثـير من المشروعات الصـناعية فى غانا (منها مصنع للألــواح الخشبية الكبيرة ومزارع حكومية للأرز والذرة ، ومصنع لتنقية الذهب وتركيزه ، طاقته السـنوية ٢٥ طنا من الذهب) ؛ ومحطة اذاعة ومطبعة ، ومستشفيان ومدرسة داخلية فى الصومال ؛ ومعمل لتكرير البترول فى الحبشة ؛ وصـوامع للغـلال ، ومصانع للصـناعات الغذائية فى السودان ؛ ومعهد للفنون التطبيقية وملعب رياضى ومصنع تعليب للمواد الغذائية ومصنع لتعبئة اللحـوم ومزرعة لتربية المواشى فى غينيا •

وتقدم الدول الاشـتراكية الأخرى معونة متزايده الى لافريقيا •

وعلى نقيض « المعونة » التى تقدمها الدول الاستعمارية بهدف استعباد الدول الافريقية ، وخداع شعوبها ، فان المعونة التى يقدمها الاتحاد السوفيتى منزهة عن الغرض ، تهدف الى تنمية التصنيع وتنمية الانتاج الزراعى وتدريبه

العناصر الفنية والعلمية والثقافيـة والطبية وغيرها .
وهـــذه المعونة عامل هام فى تعزيز الاستقلال الحقيقى للشعوب الافريقية .

× ×

وبتعزيز الاستقلال الحقيقى تستطيع الدول الافريقية أن تقوم بدور متزايد فى العالم الحديث . ولن يمضى وقت طويل حتى يخرج آخر مستعمر من القاره مجللا بالخزى والعار ، ويسود السلام والعمل البناء فى ربوع القـاره الافريقية .

ان القارة الافريقية تملك كافة المقومات اللازمة لتجديد قواها الوطنية ، وازدهار الحيـاة الديمقراطية فى سرعة وقوة ، والسير فى طريق التقدم الاجتماعى . وليس أدل على ذلك من جلائل الأعمال التى أنجزتها الدول الافريقية الناشئة . ان جميع الشعوب التقدمية تؤمن ايمانا لايتزعزع بما تنبأ به باتريس لومومبا ، بطل افريقيا اذ قال :

« سيأتى اليوم الذى يتكلم فيه التـاريخ . ولكنه لن يكون التـاريخ الذى يتم تلقينه فى بروكســل وباريس وواشنطون والأمم المتحده .

« بل سيكون التاريخ الذى يتم تلقينه فى البلاد التى ظفرت بالحرية من الاستعمار وصنائعه .

« ان افريقيا سوف تكتب تاريخها وسيكون فى الشمال والجنوب تاريخا كله مجد وكرامة » .

جدول رقم (١)

الدول الافريقية التي نالت استقلالها بعد ١٩٥٠

	اسم الدولة	تاريخ اعلان الاستقلال
١	ليبيا	٢٤ ديسمبر ١٩٥١
٢	السودان	أول يناير ١٩٥٦
٣	المغرب	٢ مارس ١٩٥٦
٤	تونس	٢٠ مارس ١٩٥٦
٥	غـانا	٦ مارس ١٩٥٧
٦	غينيا	٢ أكتوبر ١٩٥٨
٧	الكاميرون	أول يناير ١٩٦٠
٨	توجـو	٢٧ أبريل ١٩٦٠
٩	مالى	٢٠ يونيه (١) ٢٢ سبتمبر ١٩٦٠
١٠	السنغال	٢٠ يونيه (٢) ٢٠ أغسطس ١٩٦٠
١١	جمهورية ملجاش	٢٠ يونية ١٩٦٠
١٢	الكونغو(ليوبولدفيل)	٣٠ يونية ١٩٦٠
١٣	الصومال	أول يولية ١٩٦٠
١٤	داهومى	أول أغسطس ١٩٦٠

(١) كجزء من اتحاد مالى .

(٢) بعد حل اتحاد مالى .

	اسم الدولـة	تاريخ اعلان الاستقلال
١٥	النيجر	٣ أغسطس ١٩٦٠
١٦	الفولتا العليا	٥ أغسطس ١٩٦٠
١٧	ساحل العاج	٧ أغسطس ١٩٦٠
١٨	تشـــاد	١١ اغسطس ١٩٦٠
١٩	جمهورية افريقيا الوسطى	١٢ أغسطس ١٩٦٠
٢٠	الكونغو (برازافيل)	١٥ أغسطس ١٩٦٠
٢١	جابون	١٧ أغسطس ١٩٦٠
٢٢	نيجيريا	أول أكتوبر ١٩٦٠
٢٣	موريتانيا	٢٨ نوفمبر ١٩٦٠
٢٤	سيراليون	٢٧ أبريل ١٩٦١
٢٥	تنجانيقا (٣)	٩ ديسمبر ١٩٦١
٢٦	رواندا	أول يولية ١٩٦٢
٢٧	بوروندى	أول يولية ١٩٦٢
٢٨	الجزائر	أول يولية ١٩٦٢
٢٩	أوغندا	٩ أكتوبر ١٩٦٢
٣٠	زنزبار وبمبا (٤)	١٠ ديسمبر ١٩٦٣
٣١	كينيا	١٢ ديسمبر ١٩٦٣
٣٢	ملاوى	٦ يولية ١٩٦٤
٣٣	زامبيا	٢٤ أكتوبر ١٩٦٤

(٣) أصبحت جمهورية تنزانيا المتحده فى أكتوبر ١٩٦٤

(٤) اتحدت مع تنجانيقا فى أبريل ١٩٦٤

الدولة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢
	السنة					
نيجريا						
عدد الاضرابات	٤٩	٤٨	٥١	٥٤	٦٥	٥٨
عدد المضربين	٢١,٧٩٧	٢٤,٦٦٠	٢٠,٩٦٨	٢٣,٢٥٠	٣٦,٦٧٧	١٨,٦٧١
روديسيا الشمالية						
عدد الاضرابات	٧٦	٤٠	٢٣	٦١	٦٥	٩٤
عدد المضربين	١٦,٢٣٥	٢٧,٢٢٧	٢,١٨٤	٦,٢٤١	١٢,٠٦٢	٥١,٣٣٣
سيراليون						
عدد الاضرابات	٣	٧	٥	٢	٤	٢٢
عدد المضربين	١,٦٤٤	١,٧٠٦	٤,١٤٨	١,٠٧٨	٣١٨	٤,٠٤٢
جمهورية جنوب افريقيا						
عدد الاضرابات	١١٩	٧٤	٤٦	٤٢	٨١	٥٥
عدد المضربين	٩,٦٣٤	٨,١٧٩	٣,٧٠٢	٥,٥٠٠	٤,٩٩١	٢,١٤٦
روديسيا الجنوبية						
عدد الاضرابات	٦٦	١٠٢	٨٤	١٨١	١٧٣	١٠٤
عدد المضربين	٢,٥٥٥	٦,٠٥٠	٨,٥٨١	١٧,٧٤٦	٢١,٢٨٢	٧,٨٨٦

غينيا						
عدد الاضرابات	—	٤٣	١٥	٢٣	—	—
عدد المضربين	—	١٤,٨٨٦	٤,٠٣٤	٣,٤٥٠	—	—
ساحل العاج						
عدد الاضرابات	٣٢	—	١٤	٣٠	—	١٤
عدد المضربين	٥,٧٥٠	—	٢,٨٧٥	١,٦٧٣	٣,٢٣٠	٢,٩٧٠
كينيا						
عدد الاضرابات	٧٧	٩٦	٦٧	٢٣٢	١٦٧	٢٨٠
عدد المضربين	٢١,٩٥٤	٢١,٣١٥	٤٤,٢١٤	٧٢,٥٤٥	٢٦,٦٧٧	١٣٢,٤٣٣
جمهورية ملجاش						
عدد الاضرابات	١٦	٧	١٢	١٣	١٨	٢٩
عدد المضربين	٨,١٣٤	١,٨١٨	٢,٠٢١	٢,٩١٥	١,٧١٨	٣,٧٥٨
موريتوس						
عدد الاضرابات	١	٣	٦	١٢	١	١
عدد المضربين	٣٧٣	١,١٠٦	١,٤٢٦	٨٤٥	٣٣٨	١٢
المغرب						
عدد الاضرابات	١١٨	٢٢٠	٣٥٧	٢٦٩	٣٣٢	٢٥٤
عدد المضربين	٢٢,٨١٨	١١٨,٧٦٤	٤٢,٠٢٣	٥٠,٧٧٢	٧٥,٩٥٥	٥٢,٥١٤

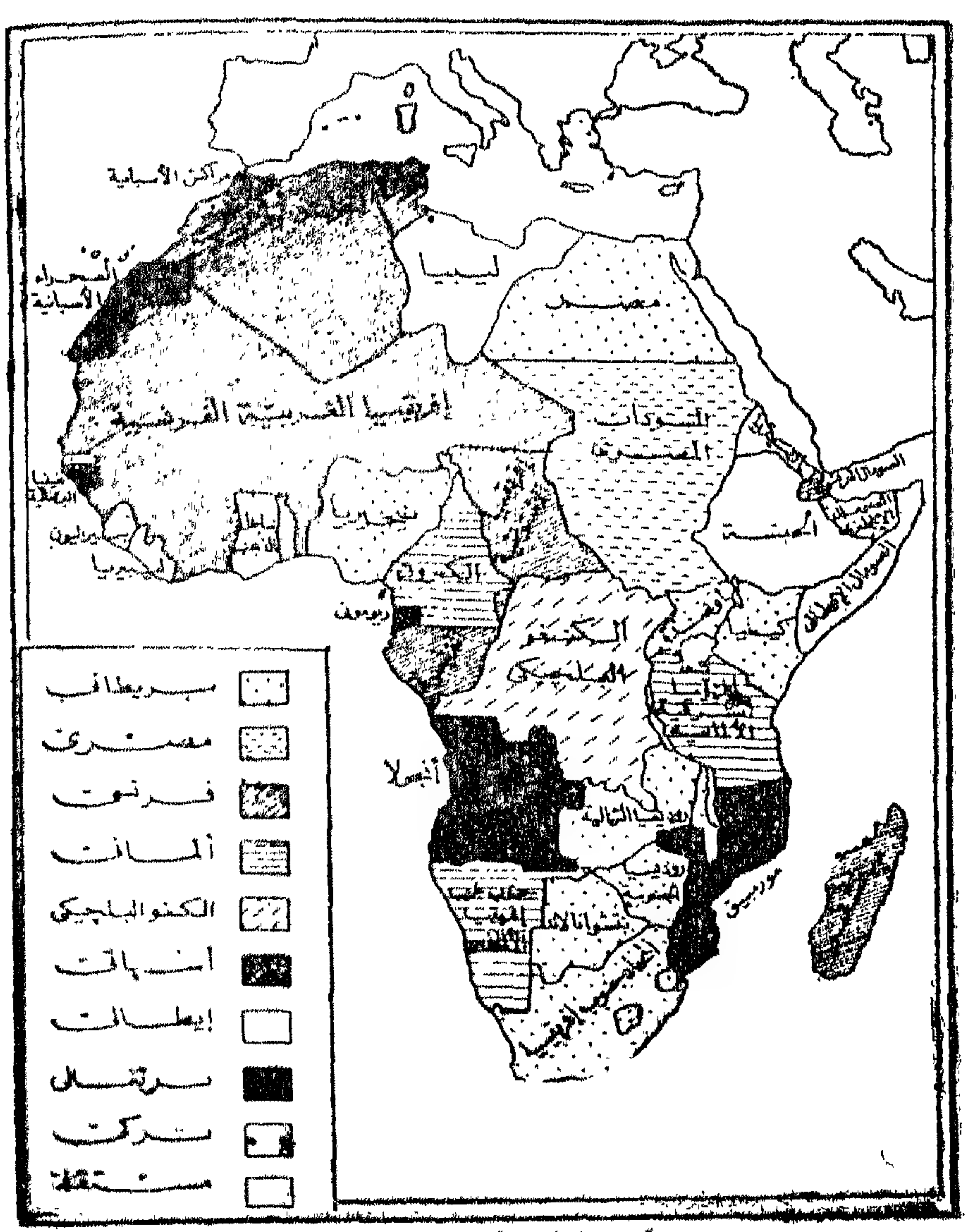
جدول رقم (٢) سير حركة الاضراب فى افريقيا

الدولة	السنة					
	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢
الكاميرون						
عدد الاضرابات	٩	٦	٢	٣	—	١٧
عدد المضربين	١٫٠٩١	٦٢٢	١٥١	٢٢٦	—	٢٫٠٨٣
جمهورية افريقيا الوسطى						
عدد الاضرابات	—	١٤	٤	١٠	٤	—
عدد المضربين	—	٢٫٢٠٣	٣٣٤	٢٫١٨٧	٤٦٠	—
تشاد						
عدد الاضرابات	٧	٣	٥	—	١٧	—
عدد المضربين	٣٫٣٢١	١٤٥	٧٠٠	—	٢٫٠٠٩	—
جابون						
عدد الاضرابات	١٠	٧	١٦	٣١	١٧	٣٦
عدد المضربين	٤٢٠	٢٣٥	٩٥٢	١٫٥١٢	٩٧٥	٢٫٣٧٤
غانا						
عدد الاضرابات	٤٥	٥٠	٢٠	٥١	٤٠	٤
عدد المضربين	١١٫٨٥٨	٢١٫٧٧١	٤٫١٤٣	٩٫٩٧٨	١٢٫٢٤٩	١٫٦٩٠

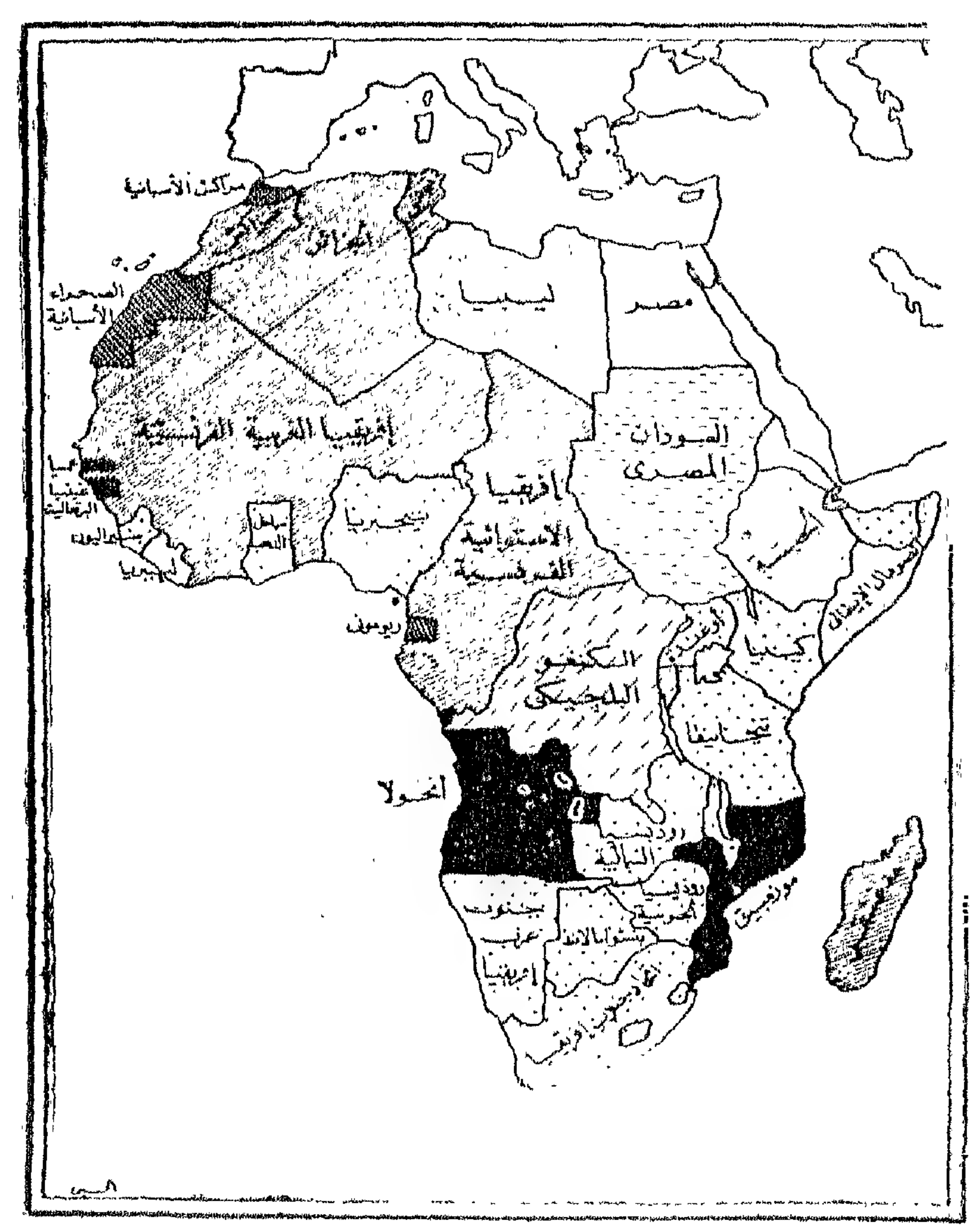
تنجانيقا						
عدد الاضرابات	١١٤	١٥٣	٢٠٥	٢٠٣	١٠١	١٥٢
عدد المضربين	٣٩٫٧٨٦	١٧٫٤٣٠	٨٢٫٨٧٨	٨٩٫٤٩٥	٢٠٫١٥٩	٤٨٫٤٣٤
تونس						
عدد الاضرابات	٦٣	٤٥	٢١	١١	٢٣	١١
عدد المضربين	٥٫٤٠٥	١٫٤١٢	١٫٤١٦	١٫٠٨٠	٨٨٥	٣٩٣
أوغندا						
عدد الاضرابات	٣٥	٤٤	٦٤	٥٣	٧٢	١٦١
عدد المضربين	[illegible]	٥٫٨٧٣	١٣٫٢٤٩	٣٠٫٨٧٧	٢١٫٠٧٠	٢٥٫٥٦٣
الفولتا العليا						
عدد الاضرابات	٥	٩	٩	١٠	٨	٦
عدد المضربين	٥٫٤٠٤	٨٫٥٩٣	٨٣٧	١٫٢٤٩	٧٩٢	١٤٥
السنغال						
عدد الاضرابات	—	—	٥	٤	—	—
عدد المضربين	—	—	٧٫١٤٦	١٤٨	—	

YEARBOOK OF LABOUR STATISTICS 1963 ٤

GENEVA, 1963, PP. 527 - 29



خريطة إفريقيا السياسية سنة ١٩١٤



خريطة إفريقيا السياسية سنة ١٩٤٠م



خريطة إفريقيا السياسية

المحتـــويات

صفحة

النـــاشر

مؤسســـة العصر الحـــديث

٢٠ شارع عدلى ــ القاهرة

و

مؤسسة ميجدونا رودنايا كنيجة

بموســـكو

ظهر من هذه المجموعة الكتب الآتية :

ص	
● جغرافية العالم الاقتصـــادية	١٠
● مشكلات افريقيا الاقتصادية	٥
● تاريخ حركة التحرر الوطنى فى شرق افريقيا	٨
● التطور الاقتصادى للمجتمع الاشتراكى	٥
● الانتاج الزراعى ، اقتصاده وتنظيمه	٥
● اسس تنظيم الصناعة والبناء	٥
● الفلسفة الماركسية - اللينينيـــة سلاح نظرى فى مجال التطبيق الثورى	٥
● شعوب العالم فى عصر انهيار الرأسمالية ونمو الاشتراكية	٥
● شعوب العالم فى النضال من أجل الاشتراكية	٥
● التجربة التاريخية لبناء الاشتراكية فى جمهوريات آسيا الوسطى	٥
● من تجربة العمل السياسى فى الجيش السوفييتى	٥

وباقى المجموعة وعددها ٢٤ كتابا
تحت الطبع